نبيل سليمان: على الرواية ألا تتحول إلى سجال سياسي

ص11

يانس شتولتنبرغ

هل انتهى زمن لعب الشطرنج مع الدب الروسي؟

ص8

الدبلوماسية الجزائرية في فوضى بعد تغيير إسبانيا موقفها من بوليساريو

ص2

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2022/03/20

17 شعبان 1443

السنة 44 العدد 12362

Sunday 20/03/2022

44th Year, Issue 12362

مواقف إماراتية أبعد من استقبال الأسد والوساطة في الحرب الأوكرانية

طريق إماراتي واضح في الابتعاد عما يعجب الأميركيين أو لا يعجبهم

أبوظبي – كشف موقف الولايات المتحدة من زيارة الرئيس السوري بشار الأسد إلى الإمارات عن وجود فجوة واضحة بينها وبين أحد أبرز شركائها في الخليج، في وقت يقول فيه الإماراتيون إن الموضوع أبعد من استقبال الأسد أو الوساطة في الحرب الأوكرانية أو الامتناع عن الاستجابة لرغبة واشنطن في نقض اتفاق أوبك+.

ويقول متابعون للشأن الخليجي إن الإدارة الأميركية متعثرة في فهم حجم التغيرات في الشرق الأوسط وكانت تعتقد أن الموضوع محدود في أسعار النفط أو تبديد الغضب من المواقف السلبية من ضرب أبقيق وقصف مواقع في أبوظبي بالصواريخ والمسيرات الإيرانية التي وضعتها على ذمة الحوثيين.

وأشار المتابعون إلى أن زيارة الأسد إلى أبوظبي واستقباله بحفاوة هي الرسالة الأبلغ والأقوى من الإمارات إلى الولايات المتحدة والغرب بالعموم، ومفادها أن هذه مواقفنا كما نراها، وأنه كما اتخذتم مواقفكم دون اعتبار لنا، فإننا نتخذ مواقفنا دون اعتبار لكم، وأن المحدد في كل ذلك هو مصلحة الإمارات التي قد تتقاطع معكم وقد تبتعد عنكم.

كما أن استقبال الأسد هو خطوة من ضمن سلسلة خطوات كانت قطعتها الإمارات في الأشهر الأخيرة تقوم على تصفير المشاكل في العلاقة مع القوى الإقليمية والدولية، والتركيز على خدمة الإمارات وتنفيذ المشاريع الواعدة التي ستضعها في المستقبل مركزا اقتصاديا وتكنولوجيا مهما إقليميا ودوليا. وترسم هذه المواقف الجديدة صورة مختلفة حتى لحلفاء الإمارات الإقليميين أو ممن يمتهن التعكير على سياسات أبوظبي.

> زيارة الأسد إلى أبوظبي رسالة إلى واشنطن: كما اتخذتم مواقفكم دون اعتبار لنا، نتخذ مواقفنا دون اعتبار لكم

وفي مقابل اتساع الهوة مع الولايات المتحدة بعد سلسلة من الخطوات الأميركية السلبية، فإن الإمارات باتت أقرب إلى روسيا، والأمر لا يرتبط بزيارة الأسد ولا التصويت في مجلس الأمن ضد قرار أميركي لإدانة التدخل الروسي في أوكرانيا، فهي أبعد من ذلك كونها تعبر عن توجه إماراتي مختلف.

ويقول المتابعون إن الروس يثقون الآن بالإماراتيين لاعتبارات كثيرة، منها أنهم يدركون أن أبوظبي لا تتحرك فقط بدوافع سياسية لتسجيل المواقف، ولكنها تراعي الوضع الاقتصادي العالمي وشبكة التوازنات، لافتين إلى أن تراجع أسعار النفط مثلا بسبب ضخ المزيد من الخام للسوق، ينعكس سلبا على الواردات المالية الإماراتية، أي أنها لا تنصح روسيا بشيء إلا ما يمسّها أيضا.

وبالتوازي، فإن الأوكرانيين أيضا يفهمون أهمية الثقة بين روسيا والإمارات، وهذا يعني أنهم سينقلون الرسائل ويكونون وسطاء إيجابيين وليسوا بعيدين أو متحيزين، ما يعطي فرصة أكبر لنجاح الوساطة التي تقودها الإمارات.

وكان آخر تحرك في هذه الوساطة هو زيارة وزير الخارجية الإماراتي الشيخ عبدالله بن زايد إلى موسكو ولقاؤه نظيره الروسي سيرغي لافروف، ثم اتصاله لاحقا بنظيره الأوكراني ديمتري كوليبا، وتأكيده "استعداد دولة الإمارات التام لدعم كافة الجهود المبذولة لإيجاد حل سلمي للنزاع في أوكرانيا، والتوصل إلى تسوية سياسية للأزمة".

عودة الدفء

ويعتقد المراقبون أن زيارة الأسد إلى أبوظبي ستفتح عيون واشنطن على حقيقة أن حلفاءها الخليجيين الغاضبين من مواقفها تجاه المنطقة قد تغيروا بدرجة كبيرة، وأن استعادة ثقة هؤلاء بات أمرا يعنيها لوحدها إن شاءت تحركت فيه بسرعة وإن شاءت أبطأت أو تغافلت، فوحدها تتحمل المسؤولية.

وتراجع الرصيد السياسي لإدارة جو بايدن لدى كل من الرياض وأبوظبي بسبب عدم الاستجابة لمخاوفهما بشأن منافستهما الإقليمية إيران وإنهاء دعمها لحربهما في اليمن وفرض شروط على مبيعات الأسلحة الأميركية لدول الخليج.

وزار الرئيس السوري بشار الأسد الإمارات الجمعة في أول زيارة له إلى بلد عربي منذ الحرب السورية التي اندلعت عام 2011.

وذكرت وكالة أنباء الإمارات أن الأسد التقى بولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان الذي "أكد أن سوريا الشقيقة تعد ركيزة أساسية من ركائز الأمن العربي وأن دولة الإمارات حريصة على تعزيز التعاون معها".

وأظهر شريط مصور بثته وكالة أنباء الإمارات الأسد مبتسما وهو يقف إلى جوار الشيخ محمد بن زايد أمام علمي سوريا والإمارات مع حديث تخللته ابتسامات.

وأثارت الزيارة انتقادا من واشنطن مع إعلان وزارة الخارجية أنها "تشعر بخيبة أمل كبيرة وبقلق" مما وصفته بمحاولة واضحة لإضفاء الشرعية على الأسد.

وأكد المتحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية نيد برايس أن واشنطن ما زالت تعارض جهود تطبيع العلاقات مع الأسد.

وقال إن الولايات المتحدة لن تتنازل أو ترفع العقوبات عن سوريا ما لم يتم إحراز تقدم نحو التوصل إلى حل سياسي للصراع الذي أودى بحياة مئات الآلاف منذ اندلاع الانتفاضة ضد الأسد.

وأضاف برايس في رسالة بالبريد الإلكتروني "نحث الدول التي تفكر في التواصل مع نظام الأسد على أن تدرس بعناية الفظائع المروعة التي ارتكبها النظام ضد السوريين على مدى العقد الماضي فضلا عن محاولات النظام المستمرة لحرمان معظم البلد من الحصول على المساعدات الإنسانية والأمن".

وأبدت واشنطن قلقها في نوفمبر عندما زار وزير الخارجية الإماراتي دمشق والتقى بالأسد.

مراجع المذهب الزيدي يؤيدون تصنيف الحوثيين جماعة إرهابية

صنعاء – كشف مصدر خاص في محافظة صعدة في شمال اليمن لـ"العرب" عن ترحيب عدد من أبرز علماء ومراجع المذهب الزيدي في المحافظة التي تعد معقل الجماعة الحوثية بقرار مجلس الأمن الدولي بشأن تصنيف جماعة الحوثيين جماعة إرهابية.

وقال المصدر الذي طلب عدم ذكر اسمه نقلا عن العلماء محمد عبدالعظيم الحوثي وعلي مسعود الرابضي ومحمد عوض المؤيدي وعدد آخر من أبرز علماء المذهب الزيدي في صعدة؛ تأكيدهم على أن "هذا القرار الموفق الذي صدر لأول مرة يعد إنجازا نوعيا وتاريخيا"، كما يعتبرون القرار "خطوة هامة في الاتجاه الصحيح".

وقال المصدر المقرب من العلماء المذكورين وعدد آخر من علماء صعدة المناهضين للنهج الحوثي إنهم "طالما انتظروا مثل هذا القرار منذ بداية الانقلاب" وتأكيدهم على أن "هذا القرار الموفق سوف يسهم إسهاما فعليا في منع وصول الدعم الإيراني المتمثل في الصواريخ الباليستية والطائرات المسيرة وكذلك في منع الدعم المالي القادم من إيران أيضا".

وقال وجهاء وسياسيون من محافظة صعدة مناهضون للحوثي إن مثل هذا الموقف الذي صدر عن عدد من أبرز مراجع المذهب الزيدي في صعدة واليمن عموما، ليس أمرا مفاجئا، بل إنه يندرج في سياق صراع طويل بين تيارات متباينة داخل المذهب الزيدي والجماعة الحوثية التي يرى عدد من مراجع الزيدية في اليمن أنها انحرفت عن مبادئ المذهب وارتمت في أحضان المشروع الإيراني سياسيا وفكريا، بما يضر بالمذهب وأتباعه.

وفي تصريح خاص لـ"العرب"، تعليقا على هذا البيان الصادر عن علماء صعدة، أكد فهد طالب الشرفي السياسي اليمني وأحد وجهاء محافظة صعدة أن هذا البيان يؤكد على أن "هناك فعلا تيارا زيديا لازال يرفض الرضوخ لأفكار إيران والمشروع الذي يقوده عبدالملك الحوثي والذي حاول تمييع المذهب والاستفادة من الكثير من إرثه وقطاعاته الاجتماعية وشبكات نفوذه في مناطق ما يسمى المناطق الزيدية".

وأضاف الشرفي أن "هذا التيار الذي يقوده محمد عبدالعظيم الحوثي وفيه عدد من العلماء له العشرات من المساجد والمئات من المناطق التي ما زالت توالي هؤلاء العلماء، على الرغم من وجود عدد من علماء الزيدية أو من كانوا محسوبين على الزيدية الذين ذابوا وانخرطوا في مشروع الحوثي تحت تأثير القوة أو تحت تأثير المصلحة والاستقطاب، فيما ظل هذا التيار ممانعا بالرغم من كونه يعاني الكثير من القمع الذي تواجه به جماعة الحوثي كل المخالفين".

ولفت الشرفي إلى أن هذا التيار الزيدي المعارض للحوثيين يوجد في مناطق يظنها البعض مغلقة على الحوثيين فقط مثل صعدة وعمران وحجة وصنعاء وذمار، حيث لازال الكثير من المساجد التي يتوزع فيها مرشدو الزيدية تمانع رفع الشعارات أثناء صلاة الجمعة فيما تحدث مشادات ومهاترات وتوترات واشتباكات ومواجهات مستمرة تتجدد بين الفينة والأخرى بين أتباع هذا التيار وبين الحوثيين.

وعن تاريخ الصراع بين بعض التيارات الفاعلة في المذهب الزيدي والجماعة الحوثية، تابع الشرفي قائلا "آخر هذه المواجهات تمت في آل حميدان بصعدة وسقط على إثرها العشرات من القتلى والجرحى من أتباع المذهب الزيدي الذين حوصروا في منطقة آل حميدان وحشدت الحوثية قضها وقضيضها بالأسلحة الثقيلة لمحاصرة هذه المنطقة ونتج عن ذلك الكثير من الدمار والكثير من الضحايا والعشرات من الأسرى الذين مازال بعضهم إلى الآن مغيبين في سجون الجماعة الحوثية".

فهد طالب الشرفي

هناك تيار زيدي قوي من العلماء يعارض الحوثيين

كما أن هناك ممانعة ورفضا للحوثيين من داخل المناطق الزيدية، كان آخرها البيان الذي صدر عن بعض علماء المذهب الزيدي ومراجعه في صعدة وأعلنوا فيه لجميع أتباعهم ضرورة مقاطعة صلاة الجمعة وعدم إقامتها انطلاقا من القاعدة الفكرية الزيدية التي تقول إن صلاة الجمعة لا تقام في ظل سلطان ظالم وجائر واعتبروا أن سلطة الحوثي سلطة ظالمة وجائرة.

وعلى إثر هذا البيان حاول الحوثيون بكل جهدهم أن يضغطوا على محمد عبدالعظيم الحوثي للتراجع عن هذا البيان الذي جاء ردا على محاولة الحوثيين دخول مساجد الزيدية وفرض خطب ومحاضرات فيها من "الملازم" الحوثية وهو ما جعل جماعة محمد عبدالعظيم بين خيارين، إما المواجهة العسكرية التي بالطبع ستكون نتائجها لمصلحة جماعة الحوثي، أو مقاطعة صلاة الجمعة.

كينجال صاروخ فرط صوتي روسي يحيد الدفاع الجوي الأوكراني

موسكو – كشف الجيش الروسي السبت أنه استهدف مناطق في أوكرانيا بصواريخ فرط صوتية، وهي صواريخ قادرة على تحقيق التفوق في الحرب نظرا لسرعتها الفائقة وصعوبة اعتراضها بقطع النظر عن نوعية الأسلحة الأخرى التي تستعملها أوكرانيا وفاعليتها.

ويقول خبراء إنه سواء سلّمت الولايات المتحدة صواريخ باتريوت إلى أوكرانيا أو أرسلت دول من حلف الناتو مثل سلوفاكيا صواريخ أس – 300 روسية الصنع، فإن دخول الصواريخ فرط الصوتية إلى الحرب يحيّد كل منظومات الدفاع الجوي المعروفة حاليا.

وأفادت وزارة الدفاع الروسية عن استخدام صواريخ من طراز "كينجال" (الخنجر بالروسية) فرط الصوتية لتدمير مخزن أسلحة تحت الأرض في غرب أوكرانيا الجمعة.

وقال الناطق باسم الوزارة إيغور كوناشينكوف "في الثامن عشر من مارس دمرت منظومة كينجال مع صواريخها الباليستية فرط الصوتية مخزنا كبيرا تحت الأرض للصواريخ والذخائر تابعا لسلاح الجو الأوكراني في بلدة ديلياتين في منطقة إيفانو – فرانكيفسك".

وهي المرة الأولى التي تعلن فيها موسكو اللجوء إلى صواريخ كهذه في نزاع عسكري، بعدما سبق لها استخدامها في عدد من المناورات الحربية اعتبارا من العام 2018.

وقال فاسيلي كاتشين المحلل العسكري ومدير مركز أبحاث كلية الاقتصاد العليا في موسكو لوكالة فرانس برس "من المحتمل أن روسيا أرادت استخدام كينجال في ظروف القتال". وأضاف "هذه سابقة عالمية".

وتؤكد موسكو أن هذا الصاروخ قادر على تفادي أنظمة الدفاع الجوي نظرا إلى سرعته التي قد تبلغ "ماخ 10"، أي نحو 12 ألف كلم/ساعة.

كما تشدد على أن قدرة التحكم به تمنحه هامش مناورة وتجعل اعتراضه من قبل الدفاعات الجوية أمرا بالغ الصعوبة، على الرغم من أن خبراء عسكريين غربيين يرون أن روسيا قد تبالغ في بعض هذه القدرات.

ويعكس الهدف الذي اختارته وزارة الدفاع الروسية في الاستخدام الأول لـ"كينجال" أي مخزن تحت الأرض، رغبة في إظهار القدرات العملية لهذه الصواريخ.

وأوضح كاتشين "يصعب تدمير منشآت كهذه بالصواريخ التقليدية. الصاروخ فرط الصوتي يتمتع بقدرة اختراق وقدرة تدميرية أهمّ بفضل سرعته الفائقة".

من جهته، اعتبر الخبير العسكري الروسي بافيل فلغنهاور أن استخدام "كينجال" لا يمنح روسيا تفوقا استراتيجيا في أوكرانيا، بقدر ما يعزز العامل النفسي والثقة الناتجة عن دفع موسكو بأحد أبرز إنتاجاتها ذات القوة التدميرية إلى المعركة.

وتنتمي صواريخ "كينجال" الباليستية فرط الصوتية وصواريخ كروز من نوع "زيركون" إلى عائلة جديدة من الأسلحة طورتها روسيا ويعدّها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين "لا تقهر".

وتبقى درة تاج الجيش الروسي في هذا المجال المركبة الانزلاقية فرط الصوتية "أفانغارد"، القادرة على حمل رأس نووي والتحليق بسرعة 33 ألف كلم/ساعة، وتغيير مسارها وارتفاعها بشكل غير متوقع، ما يجعل اعتراضها من صواريخ الدفاع الجوي شبه مستحيل.

وأجريت تجارب ناجحة على صواريخ "كينجال" العام 2018، أصابت خلالها كل أهدافها على مسافة ما بين ألف وألفي كيلومتر.

إلا أنه يمكن لهذا المدى أن يتضاعف نظرا للقدرة على تجهيز طائرات حربية من طراز "ميغ – 31" بهذه الصواريخ.

وروسيا هي أول دولة في العالم عملت على تطوير صواريخ فرط صوتية. وشكّل هذا المجال موضع فخر لبوتين الذي ما انفك يعتبر أن حيازة بلاده لهذا النوع من الأسلحة، يدلّ على تفوّقها العسكري.

وبعدما أدخلت روسيا هذه الصواريخ مجال الاختبارات الجدية، قامت قوى أخرى مثل كوريا والصين بتسريع تطوير برامجها الخاصة، ما أدى الى سباق تسلّح في مجال الصواريخ فرط الصوتية.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

الدبلوماسية الجزائرية في فوضى بعد تغيير إسبانيا موقفها من بوليساريو

سحب السفير من مدريد تجسيد لعجز الدبلوماسية الجزائرية

قرار إسبانيا الذي دعّم بشكل واضح مقاربة الحكم الذاتي المغربي في حل الخلاف بشأن الصحراء صدم الجزائر فلم تجد سوى استدعاء سفيرها من مدريد في خطوة أظهرت عجز دبلوماسيتها ومحدودية هامش المناورة لديها. كما أربك بوليساريو التي فقدت أغلب داعميها وتحولت إلى عبء على الجزائر.

إسبانيا تنهي أي تعاون مع بوليساريو

الجزائر - أعلنت الجزائر السبت، استدعاء سفيرها لدى مدريد سعيد موسى للتشاور؛ احتجاجا على ما اعتبرته "الانقلاب المفاجئ" في موقف الحكومة الإسبانية إزاء ملف الصحراء المغربية، في خطوة وصفت بأنها تعبر عن حالة الفوضى التي تعيشها الدبلوماسية الجزائرية.

وقال بيان لوزارة الخارجية: "تفاجأت السلطات الجزائرية بشدة، من التصريحات الأخيرة للسلطات العليا الإسبانية بشأن ملف الصحراء".

واعتبر مراقبون أن النظام الجزائري تفاجأ تماما من الخطوة الإسبانية، وأنه لم يكن يتوقعها لاعتقاده بأنه قد نجح في دق الإسفين بين مدريد والرباط من خلال زيارة زعيم بوليساريو، وكذلك سعيه إلى شراء موقف إسبانيا من خلال موضوع الغاز في ظل الأزمة التي تشهدها أوروبا.

> الجزائر لا تمتلك من ورقة ضغط سوى استدعاء السفير، وأنها لا تقدر على أي مغامرة جديدة للتصعيد خاصة في موضوع الغاز

وأشار المراقبون إلى أن الجزائر لا تمتلك من ورقة ضغط سوى استدعاء السفير، وأنها لا تقدر على أي مغامرة جديدة للتصعيد خاصة في موضوع الغاز، معتبرين أن خسارتها لتزويد المغرب بالغاز قد تتضاعف إذا ما فكرت في خطوة مماثلة مع إسبانيا لأن الأمر سيتحول إلى قضية أوروبية في وضع لن يتحمل فيه الاتحاد الأوروبي أي مزايدة من الجزائر، وإن حصل التصعيد فستكون نتائجه كبيرة على النظام الجزائري.

ووجهت الخطوة الإسبانية ضربة قوية للجزائر التي ظلت تراهن على مدريد لاستفزاز الرباط، ومحاولة إيجاد شرعية لبوليساريو من بوابة البلد الذي كان يستعمر الأقاليم الجنوبية للمغرب، لكن الآن ومع الموقف الإسباني الجديد ستفقد الجزائر آخر أوراقها في الترويج لبوليساريو، وهو ما يعني أنها ستخسر الورقة التي كانت تستثمرها للتغطية على أزماتها الداخلية.

ويرى المراقبون أن خسارة من كانوا يدعمون مقاربة الجزائر في الصحراء توسعت من أوروبا إلى أفريقيا، وهذا من شأنه أن يفقد النظام مصداقيته، كما قد يزيد من حجم الضغوط التي تطالب بوقف الاستثمار المكلف في بوليساريو والتفكير في تحويل الأموال التي تدفع لها إلى مشاريع لخدمة الجزائريين.

واعتبر هؤلاء المراقبون ذلك "تحولا تاريخيا" في موقف مدريد من القضية باعتبارها المستعمر السابق للإقليم، لاسيما وأنها كانت تتبنى موقفا محايدا في السابق.

وامتدت الصدمة إلى بوليساريو التي اكتفت بالتعبير عن "استغرابها"، ودعوة القوى السياسية في مدريد إلى "الضغط على الحكومة الإسبانية لتصحيح هذا الخطأ الفادح". لكنها لم تعلن عن أي خطة للرد على هذا الموقف الإسباني، وهو موقف يقول مراقبون إنه يمثل بداية النهاية في هذه الجبهة بعد أن خسرت آخر داعميها في أوروبا، أي إسبانيا التي كانت تستمد من مواقفها "شرعية" تحركاتها كونها المستعمر السابق.

وكانت الحكومة الإسبانية أعلنت الجمعة عن "مرحلة جديدة في العلاقة مع المغرب تقوم على الاحترام المتبادل واحترام الاتفاقات وغياب الإجراءات الأحادية والشفافية والتواصل الدائم".

وجاء الإعلان بعد بيان للديوان الملكي المغربي أشار فيه إلى رسالة وصلت من رئيس الوزراء الإسباني بيدرو سانشيز اعتبر فيها أن مبادرة "الحكم الذاتي" المغربية المقترحة للإقليم المتنازع عليه "بمثابة الأساس الأكثر جدية وواقعية ومصداقية من أجل تسوية الخلاف".

وأشادت الرباط "عاليا بالمواقف الإيجابية" و"الالتزامات البناءة" لإسبانيا إزاء مقترح المملكة منح حكم ذاتي لحل نزاع الصحراء الغربية، ما من شأنه تحسين العلاقات المتأزمة بين الجارين.

وحمّل بيان بوليساريو إسبانيا ومعها فرنسا باعتبارهما قوتين مستعمرتين سابقتين، مسؤولية "الدفاع عن الحدود الدولية المعترف بها" بين الصحراء المغربية و"جيرانها الثلاثة، المغرب والجزائر وموريتانيا".

ويقترح المغرب منح الصحراء المغربية التي يسيطر على نحو 80 في المئة من مساحتها، حكما ذاتيا تحت سيادته لحل النزاع.

ووصف محللون سياسيون الموقف الإسباني بأنه انتصار جديد للمغرب بعد الانتصار الذي حققه من خلال التغيير الذي حصل في الموقف الألماني وقبله الموقف الأميركي في عهد جو بايدن، معتبرين أن اعتراف الغرب بوحدة أراضي المغرب سيفتح الطريق أمام تطورات مهمة من بينها تسوية الخلافات مع أوروبا في ما يتعلق بصادرات الأقاليم الجنوبية.

ولفتوا إلى أن المغرب بهذه الخطوة الإسبانية يكون قد عزل الجزائر وبوليساريو في الغرب، ولم يبق أمامهما سوى بؤر صغيرة في أفريقيا سيتم التغلب عليها تدريجيا من خلال استراتيجية مغربية تقوم على الاستثمار الاقتصادي في القارة وتنويع الشراكات وبناء تحالفات على قاعدة المصالح، وهو ملعب لا تقدر الجزائر على المنافسة فيه.

واعتبر نبيل أندلوسي، الباحث المغربي في العلاقات الدولية، أن رسالة سانشيز بمثابة تطور إيجابي في السياسة الخارجية الإسبانية في علاقتها بالمغرب وقضاياه الاستراتيجية، وعلى رأسها قضية الصحراء المغربية، وهذا الموقف يتسم بوضوح وانحياز إيجابي للطرح المغربي.

وأوضح أندلوسي في تصريح سابق لـ"العرب" أن الرسالة تضمنت اعترافا ضمنيا بالخطأ واعتذارا عن الخطأ الدبلوماسي الذي ارتكبته إسبانيا في حق المغرب، بسبب استقبالها زعيمَ جبهة بوليساريو، والذي بسببه تم قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وأن الرسالة أشارت إلى توجه إسباني يهدف إلى تصحيح ذلك بتعزيز مسار الوضوح في العلاقات ما بين البلدين، وهذا ما كان يطالب به المغرب مباشرة بعد اندلاع الأزمة بين الدولتين.

تردد في حسم إلغاء عقوبة الإعدام بالمغرب

محمد ماموني العلوي

الرباط - يعمل العديد من الهيئات الحقوقية والسياسية على إلغاء عقوبة الإعدام من خلال حث الأحزاب السياسية لاسيما الممثلة في البرلمان على عدم تضمينها في القانون الجنائي الذي يتم تدارس مواده لتعديله في الأمد المنظور، رغم أن أعداد المحكومين بعقوبة الإعدام يشهد انخفاضا مستمرا في المملكة.

واعتبر وزير العدل عبداللطيف وهبي الجمعة أن المغرب يعرف حركية تشريعية تروم إصلاح العدالة الجنائية ومواكبتها للأنظمة الجنائية الحديثة التزاما بما تنص عليه المواثيق الدولية وما تعهد به الدستور المغربي.

وتؤكد الحكومة المغربية أنها تتابع باهتمام النقاش المجتمعي بين مؤيد ومعارض، وتتفاعل مع أصوات المجتمع المدني، في إطار المراجعة الشاملة للقانون الجنائي، ومقاربة حقوق الإنسان في السياسة الجنائية وفي منظومة العدل بصفة عامة .

ولم يقم المغرب بإلغاء عقوبة الإعدام تشريعيا، إلا أن تنفيذها متوقف منذ سنة 1993. وأكد الوكيل العام للعاهل المغربي الملك محمد السادس ورئيس النيابة العامة مولاي الحسن الداكي أن "رئاسة النيابة العامة تحرص على أن يظل موقف النيابة العامة بالنسبة إلى هذه العقوبة منسجما مع القانون، ومتتبعا لتطلعات المجتمع المغربي الذي مازال النقاش فيه جاريا ومستمرا، بشأن إلغاء هذه العقوبة أو الاحتفاظ بها.

وأضاف الداكي في كلمة له خلال الجلسة الافتتاحية للجمع العام للائتلاف المغربي من أجل إلغاء عقوبة الإعدام الجمعة في الرباط أن النيابة العامة تشجع قضاتها على حسن دراسة الملفات، وتوخي تحقيق الردع المناسب، مع استحضار مصلحة المجتمع الذي تتولى النيابة العامة تمثيله أمام المحاكم.

ويستند المطالبون بإلغاء عقوبة الاعدام على المادة 20 من الدستور المغربي لعام 2011 التي تنص على أن "الحق في الحياة هو أسمى حقوق الإنسان"، ومن كونها ليست النموذج الأمثل للسياسة العقابية، إذ لا تجدي شيئاً في ما ترمي إليه العقوبة من ردع، على اعتبار أن الوقوع في خطأ قضائي شيء محتمل.

وأبرز المهتمون بحقوق الإنسان والمشرعون الأبعاد الإنسانية والحقوقية والقانونية المناهضة لعقوبة الإعدام، مشيرين إلى أن هناك إشكالا ما زال مطروحا بين مؤيد لإلغاء عقوبة الإعدام وبين مطالب باستمرار هذه العقوبة التي لا تمثل رادعا للجريمة.

وأكد هشام عميري الباحث في العلوم السياسية بجامعة شعيب الدكالي أن إلغاء عقوبة الإعدام يرتبط بسلوك المجتمع المغربي أكثر ما يرتبط بسياسة الحكومة والبرلمان في ذلك، فالمغرب صادق على مجموعة من الاتفاقيات في هذا الباب المتعلقة بالحق في الحياة وحمايتها، كما أن دستور 2011 نص على مجموعة من الحقوق وتشبثت المملكة بحقوق الإنسان كما هو متعارف عليها دوليا، جاعلة من الاتفاقيات الدولية تسمو على التشريعات الوطنية، كما أفرد المشرع المغربي بابا خاصا بحقوق الإنسان في دستور 2011، وهو باب يهدف إلى حماية حقوق الضحية وحقوق الجاني معا.

واعتبر هشام عميري في تصريح لـ"العرب" أن تنزيل الترسانة القانونية وإصلاحها فيما يخص البقاء أو إلغاء عقوبة الإعدام، دائما ما يصطدم بسلوك المجتمع المغربي وثقافته، وهو ما جعل المشرع يتردد في إلغاء الإعدام ووقف تنفيذه منذ تسعينات القرن العشرين.

> الحكومة المغربية أكدت أنها تتابع النقاش المجتمعي وتتفاعل في إطار المراجعة الشاملة للقانون الجنائي

وحسب إحصائيات رسمية فقد انخفضت أعداد المحكومين بعقوبة الإعدام بشكل مستمر، إذ تقلص عددهم من 197 شخصا سنة 1993 إلى 79 شخصا في ديسمبر 2021، بسبب الانخفاض المستمر لعدد الأحكام الصادرة عن المحاكم الوطنية القاضية بعقوبة الإعدام، وإلى استفادة المحكوم عليهم من تدابير العفو الملكي التي تؤدي إلى تحويل عقوبة الإعدام إلى عقوبات سجنية مختلفة.

وأكد وزير العدل عبداللطيف وهبي أن السياسة الجنائية المغربية توجهت نحو اتخاذ العديد من التدابير في إطار الحد التدريجي من هذه العقوبة، خاصة من خلال اقتراح تخفيض عدد المواد التي تعاقب بالإعدام إلى أبعد حد ممكن.

لكن هذا لا يكفي حسب الائتلاف المغربي من أجل إلغاء عقوبة الإعدام الذي يصر على أن إلغاء عقوبة الإعدام انتصار للحياة والإنسان، وأن امتناع المغرب عن إلغاء هذه العقوبة لا يمكن إدراجه في خانة الإكراهات الثقافية أو الدينية.

وردًا على الهيئات الحقوقية التي تتّهم الحكومة بالتماطل والتردّد في التعامل مع هذا الملف أكد وهبي أن ورش إصلاح المنظومة الجنائية في المغرب تتجه لمقاربة إشكالية عقوبة الإعدام، وهو ما تجسده جهود ملاءمة المنظومة القانونية الوطنية مع المواثيق الدولية وتوصيات وملاحظات هيئات منظمة الأمم المتحدة ذات الصلة بحقوق الإنسان.

السياحة التونسية أمام رهان تجاوز مخلفات كورونا والحرب الأوكرانية

خالد هدوي

تونس - تراهن تونس على انتعاشة قطاعها السياحي للمساهمة في تحسين الوضع الاقتصادي المأزوم لكن ذلك يبقى رهين تخطي تداعيات وباء كوفيد – 19 والهجوم الروسي على أوكرانيا وآثاره المحتملة.

وقال وزير السياحة التونسي المعز بلحسين السبت إن هناك آمالا ببداية تعافي السياحة مع تسجيل إقبال على الوجهة التونسية من قبل وكالات الأسفار، لاسيما من قبل اتحادي وكالات الأسفار في ألمانيا وإسبانيا اللذين سيعقدان مؤتمريهما في تونس هذا العام.

ويقول مسؤولون إن هناك جهودا حثيثة لإنجاح الموسم السياحي خاصة في ظل الاستقرار السياسي الذي تشهده البلاد منذ الخامس والعشرين من يوليو.

وقال كريم الجتلاوي مدير العلاقات العامة والاتصال بالديوان الوطني التونسي للسياحة في تصريح خاص بـ"العرب"، "هناك استعدادات حثيثة لإنجاح الموسم السياحي، ونشتغل منذ فترة على تكوين العمّال في المجال، فضلا عن الحملات التوعوية، ولدينا حملة وطنية موجّهة للسياحة الداخلية، وأخرى للبلدان الأوروبية".

قطاع هام

وتوقّع الجتلاوي تسجيل زيادة في عدد السياح بين 10 و15 في المئة مقارنة بالموسم الماضي"، لافتا، "في ظل الحرب الروسية– الأوكرانية، يمكن أن تفتح آفاق جديدة لتوافد الأوروبيين".

وأشار إلى "وجود تسهيلات للسياح بالتعاون مع وكالات الأسفار والنزل للترويج للمنتوج السياحي التونسي، على غرار تقديم جملة من التحفيزات، فضلا عن توافد الأطفال مجانا على النزل، ونظمنا حملة متوجهة أساسا للمناطق الجبلية والصحراوية أكثر من المدن الساحلية، ما يمثل فرصة لزيارة المناطق الداخلية"، مؤكّدا أن "السائح التونسي أصبح يبحث عن السياحة الاستشفائية والجبلية، وأصبحنا نروّج لمنتوج سياحي ثقافي".

واستطرد الجتلاوي "مكّنا العاملين في القطاع من تحفيزات مالية لمواصلة التكوين السياحي والمراهنة على عامل الكفاءة في تقديم الخدمات".

وتمثل السياحة 14 في المئة من الناتج الداخلي الخام لتونس، وتصطدم مساعي إنعاشها بالحرب التي تدور في أوكرانيا، وسط مخاوف من أن تمتد تداعياتها إلى قطاعات أخرى على غرار الأمن الغذائي للتونسيين.

وتواجه السياحة التونسية شبح انتكاسة بسبب التداعيات المحتملة للحرب الروسية على أوكرانيا، حيث تصاعدت تحذيرات المتدخلين في هذا القطاع الحيوي في البلاد من خسارة السوق الروسية بسبب الحرب.

ويمثّل الروس جزءا هاما من السوق السياحية التونسية، ويبلغ عددهم أكثر من 600 ألف سائح من مجموع الذين يصلون إلى تونس، وفق أرقام رسمية.

واحتلت السوق السياحية الروسية مكانة هامة في تونس، بعد أن بلغ عدد السياح القادمين من روسيا في 2019 أكثر من 700 ألف سائح، ما جعل هذه السوق تحتل المرتبة الثانية بعد السوق الفرنسية.

وبحسب تقارير محلية، كان من المرتقب أن تستقبل تونس هذا العام حوالي 600 ألف سائح روسي و30 ألف سائح أوكراني، قبل أن تبدأ الحرب في أوكرانيا بعد الهجوم الروسي الذي لم تنجح العقوبات الغربية في وقفه.

وأفاد وسام السويفي مدير عام نزل "لايكو تونس"، أن "القطاع السياحي بدأ يسترجع نشاطه تدريجيا منذ بداية شهر مارس الجاري، وخصوصا بعد تراجع موجات جائحة كورونا ورفع القيود أمام السفر".

وأضاف لـ"العرب"، "هناك تحسّن كبير خصوصا لسياحة المؤتمرات، أما بالنسبة إلى النزل السياحية لم تعرف أزمتها انفراجة بعد، نظرا إلى وجود قيود تنقل وسفر لبعض البلدان وأزمة الحرب الروسية على أوكرانيا التي سترمي بظلالها على تنقل السياح خوفا من توسّع دائرة الحرب".

خالد الفخفاخ

مخاوف من تأثير الحرب الروسية – الأوكرانية على السياحة التونسية

ويبدو أن وزارة السياحة وجدت حلولا وقتية لدفع نسق القطاع بالبلاد، عبر تدعيم وتطوير السياحة الداخلية التي عرفت أرقاما قياسية خلال الموسم الماضي، حيث أصبح سياح الداخل أهم أسس هذا القطاع الحيوي بعد تقلص عدد السياح الأجانب الذين يرتبط قدومهم بالعديد من الظروف الداخلية التي تهم البلاد أو أخرى عالمية على غرار الجائحة الصحية والتوترات السياسية والحروب.

وقال السويفي "وزارة السياحة تحرّكت ونظّمت ندوة حول السياحة الداخلية، في المقابل هناك تحسّن طفيف بخصوص السوق الفرنسية والألمانية وبدرجة أقل الإيطالية".

وتأتي هذه التحذيرات في وقت تواجه فيه تونس واحدة من أسوأ أزماتها الاقتصادية، وسط استعدادات لاستكمال المفاوضات مع صندوق النقد الدولي من أجل الحصول على قرض جديد، فيما يستمر المسار السياسي الانتقالي الذي يقوده الرئيس قيس سعيّد.

وأعلن الاتحاد الروسي للسياحة مؤخرا أن السلطات التركية والمصرية والتونسية أكدت أنها في انتظار السياح الروس هذا العام.

وتحركت الحكومة لتفادي الانتكاسة المحتملة، حيث تحدث قبل أيام وزير السياحة محمد معز بلحسن مع رئيسة وكالة السياحة الروسية زارينا دوغوزوفا، إذ شدد على أن بلاده لا تخطط لفرض أيّ قيود على روسيا، وأبدى اهتمامها بزيادة التدفق السياحي الروسي، بحسب ما نشرت وكالة سبوتنيك الروسية.

وأكد عضو المكتب التنفيذي بالجامعة التونسية للنزل خالد الفخفاخ، أنه "توجد مخاوف من أن تؤثر الحرب الروسية على أوكرانيا على توافد السياح على تونس، علاوة على إعادة فتح الحدود مع الجزائر ما من شأنه أن ينعش القطاع".

وقال لـ"العرب"، "هناك سوق داخلية للسياح وأيضا خارجية على غرار السياح الألمان والفرنسيين والبلجيكيين، وهناك الليبيون والجزائريون الذين يركّزون على السياحة الاستشفائية، وعلينا أن نكثّف مجهوداتنا لاستقطاب سياح أفريقيا جنوب الصحراء".

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

بايدن تحت ضغوط متصاعدة بسبب استعداده لرفع الحرس الثوري الإيراني من قائمة الإرهاب

إسرائيل والجمهوريون ينددون بهرولة الإدارة الأميركية الحالية نحو تسهيل إحياء الاتفاق النووي بأي ثمن

بات الرئيس الأميركي الديمقراطي جو بايدن في مواجهة ضغوط متزايدة من قبل الجمهوريين في بلاده وكذلك من قبل مسؤولين إسرائيليين، بسبب الكشف عن استعداد إدارته لرفع الحرس الثوري الإيراني من قائمة الإرهاب لتسهيل عملية إحياء الاتفاق النووي الموقع عام 2015.

رفض لإطلاق يد الحرس الثوري

واشنطن - يواجه الرئيس الأميركي جو بايدن، ضغوطا حادة ومتزايدة من المحافظين في الولايات المتحدة ومسؤولين في إسرائيل، بسبب الكشف الأسبوع الماضي عن أن إنجاز مفاوضات إحياء الاتفاق النووي قد يتطلب من واشنطن إزالة اسم الحرس الثوري الإيراني من قائمتها لـ"المنظمات الإرهابية الأجنبية".

وأدرجت إدارة الرئيس السابق دونالد ترامب الحرس على هذه القائمة في العام 2019 بعد زهاء عام من قراره الانسحاب الأحادي من الاتفاق المبرم بين إيران والقوى الكبرى في 2015. وأبدى بايدن الذي خلف ترامب في منصب الرئيس، رغبته في العودة إلى الاتفاق، بشرط عودة طهران للامتثال لكامل التزاماتها التي تراجعت عنها في أعقاب انسحاب واشنطن.

وبدأ الجانبان في أبريل 2021، مفاوضات غير مباشرة لإعادة تفعيل الاتفاق، بمشاركة الأطراف التي لا تزال منضوية فيه (فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، روسيا، والصين). وأجمع المعنيون على أن المباحثات المعلّقة راهنا بلغت مرحلة فاصلة تقلّصت فيها نقاط الخلاف إلى حدودها الدنيا.

مايك بومبيو

إدارة بايدن تريد هدر كل الإنجازات التي منها تركيع إيران

والأسبوع الماضي، أكدت مصادر مطلعة على مسار المفاوضات، أن إحدى النقاط المتبقية هي إصرار طهران على رفع اسم الحرس الثوري من هذه القائمة التي تضم جماعات من قبيل تنظيمي الدولة الإسلامية والقاعدة، ضمن أي تفاهم يعيد إحياء اتفاق 2015.

وردا على سؤال بهذا الشأن خلال مؤتمر صحافي الجمعة، قالت المتحدثة باسم البيت الأبيض جين ساكي إن "مفاوضات تجري حاليا. لن أتطرق إلى تفاصيلها. لكنني أشير إلى أن الوضع القائم الذي نحن فيه لم يحقق لنا أي شيء يجعلنا أكثر أمنا".

وأضافت "فعليا، ازداد الحرس الثوري الإيراني قوة" منذ إدراجه على قائمة المنظمات الإرهابية من قبل ترامب.

وخرجت الأنباء عن طلب إيراني برفع الحرس من القائمة إلى العلن بشكل أساسي هذا الأسبوع، خصوصا عبر تقرير لموقع "أكسيوس" الأميركي، نقل عن مسؤولين تأكيدهم أن إدارة بايدن تدرس فعلا القيام بهذه الخطوة، لكنها تربطها بتلقي تعهد من إيران بخفض التوتر في المنطقة.

وطرحت إسرائيل، حليفة الولايات المتحدة والعدو الإقليمي اللدود للجمهورية الإسلامية، والمعارضة بشدة لاتفاق العام 2015، هذه المسألة بشكل رسمي الجمعة، من خلال بيان مشترك لرئيس وزرائها نفتالي بينيت ووزير خارجيتها يائير لابيد.

وجاء فيه "الحرس الثوري الإيراني هو حزب الله في لبنان والجهاد الإسلامي في غزة والحوثيون في اليمن والميليشيات في العراق، وكان وراء خطط لاغتيال كبار المسؤولين في الحكومة الأميركية"، متهما إياه بالضلوع "في قتل مئات الآلاف من المدنيين السوريين".

وأضاف "يستحيل علينا التصديق بأن الولايات المتحدة ستلغي تعريفه كمنظمة إرهابية".

كما أثارت الخطوة المحتملة انتقادات لدى الجمهوريين والمحافظين الأميركيين الذين كانوا أبرز من دفع في اتجاه الانسحاب من الاتفاق.

وأدان مايك بومبيو الذي كان وزيرا للخارجية لدى إدراج الحرس على القائمة، إمكان إقدام إدارة بايدن على تغيير هذا الأمر.

وقال "الرئيس ترامب وأنا رمينا خطة العمل الشاملة المشتركة (الاسم الرسمي للاتفاق النووي) وركّعنا إيران من خلال حملة ضغوط قصوى ناجحة"، في إشارة إلى السياسة التي اعتمدها ترامب ضد طهران، وقامت على فرض عقوبات قاسية انعكست أزمة اقتصادية حادة لديها.

ورأى أن "إدارة بايدن تعتزم هدر كل ذلك".

وكان إدراج الحرس على قائمة المنظمات "الإرهابية" الأجنبية خطوة رمزية إلى حد كبير، نظرا إلى أن هذه المؤسسة العسكرية النافذة والعديد من قياداتها، كانوا أساسا تحت عقوبات أميركية مختلفة منذ أعوام طويلة.

والعقوبات المفروضة على الحرس تجمّد أي أصول له قد تكون تحت الاختصاص القضائي الأميركي، وتحظر على الأميركيين أو شركات مقرها في الولايات المتحدة -بما يشمل المصارف التي لديها فروع فيها- من التعامل معه.

ويضيف التصنيف "الإرهابي" إلى ذلك، عقوبة بالسجن قد تصل إلى 20 عاما لكل من تتم إدانته بـ"توفير دعم مادّي" للحرس.

وترى باربارا سلافين، المتخصصة بملف إيران ضمن مجلس "أتلانتيك كاونسل" البحثي في واشنطن، أن إدراج الحرس على القائمة في 2019، كان خطوة سياسية بالدرجة الأولى، هدف من خلالها ترامب إلى إرضاء حلفاء بلاده المناوئين لإيران، مثل إسرائيل والمملكة العربية السعودية.

وأوضحت أن رفع الحرس من القائمة سيكون له "الحد الأدنى" من المفاعيل عمليا.

وأضافت "هذا وضع تبدو فيه السياسة أهمّ من المضمون. سيبقى الحرس الثوري تحت العقوبات، بما يشمل قوة القدس التابعة له (الموكلة العمليات الخارجية)، تحت سلطات مختلفة"، معتبرة أن رفعه من القائمة أمر يجدر القيام به في حال كان يؤدي إلى تراجع الأنشطة النووية الإيرانية، في إشارة إلى القيود التي سيعاد فرضها على برنامج طهران بحال إحياء اتفاق العام 2015.

وشدد قائد القيادة المركزية الأميركية الجنرال كينيث ماكنزي الجمعة على أن رفع الحرس من القائمة، لن يغيّر من الوقائع على الأرض.

وأوضح "الهدف الأول للولايات المتحدة في ما يتعلق بإيران، هو ألا تمتلك سلاحا نوويا".

وأضاف "أعتقد أن أي حل يغلق أمامهم (الإيرانيون) السبيل إلى ذلك، هو أمر يساهم في الأمن الإقليمي"، علما بأن طهران تنفي دائما السعي إلى تطوير سلاح ذرّي وتؤكد سلمية برنامجها.

ورأى ماكينزي أن الحرس هو أبرز عامل "خبيث" بالمنطقة، مضيفا "لا أعرف إلى أي مدى سيؤثّر رفعهم من القائمة".

وشدد على أنه "في ما يتعلق بطريقة تفكيرنا بشأنهم، بشأن التهديد الذي يمثّلونه يوميا (...) لا أعتقد أن الكثير سيتغيّر بنتيجة ذلك".

تعزيز منظومات الدفاع الأوكرانية وعد سهل لكن تنفيذه صعب

واشنطن - وعد الرئيس الأميركي جو بايدن بمساعدة أوكرانيا في الحصول على "أنظمة دفاع جوي أطول مدى" من صواريخ ستينغر المحمولة على الكتف، لكن الكلام عن تسليم هذه البطاريات القوية المضادة للصواريخ التي يحتاج إليها الجيش الأوكراني بسرعة يبدو أسهل من تنفيذ ذلك عمليا.

ويسعى الرئيس الأميركي الذي يريد دعم أوكرانيا عسكريا من دون الدخول في نزاع مباشر مع روسيا لتزويد الجيش الأوكراني بدفاعات أفضل ضد المدفعية الروسية التي تقصف المدن. والبطاريات المتنقلة المضادة للطائرات مثالية لهذا الغرض مثل باتريوت التي ثبتت فاعليتها بشكل كبير في السنوات الأخيرة في العراق والخليج.

ويتم تحميل منظومة باتريوت على شاحنات. وهي تتألف من رادار قادر على رصد واعتراض طائرة أو طائرة مسيرة أو صاروخ داخل دائرة يتجاوز شعاعها المئة كيلومتر، ومركز مراقبة يديره ثلاثة جنود وبطارية من الصواريخ الاعتراضية.

لكن العسكريين الأوكرانيين ليسوا مدربين على استخدام هذا السلاح الأميركي المتطور.

في المقابل يعرف هؤلاء كيفية استخدام نظام "أس – 300" المضاد للطائرات، المنافس الروسي من الجيل الأول لصواريخ باتريوت الأميركية بمدى محدود لكنه كاف لحماية مدينتي خاركيف أو كييف القريبتين من الحدود الروسية التي تطلق منها معظم الصواريخ التي تستهدفهما.

ومنظومة "أس – 300" يمكن أن تأتي من بعض دول المعسكر السوفييتي السابق التي لا تزال تمتلكها وخصوصا سلوفاكيا وبلغاريا اللتان زارهما وزير الدفاع الأميركي لويد أوستن في الأيام الأخيرة.

لكن هذه الدول لا تزال تعتمد على المنظومة لأمنها وتطالب ببديل، بعبارة أخرى منظومة باتريوت، قبل إعطائها لأوكرانيا. وقال وزير الدفاع السلوفاكي ياروسلاف ناد للصحافيين الخميس "نحن مستعدون للقيام بذلك على الفور عندما يكون لدينا بديل مناسب".

وأعلنت هولندا الجمعة أنها ستنشر بطارية باتريوت في قاعدة سلياك العسكرية بوسط سلوفاكيا بينما أكدت ألمانيا أنها سترسل بطاريتين أخريين إلى البلاد مما قد يسهل نقل البطارية السلوفاكية الوحيدة "أس – 300" إلى أوكرانيا.

لكن صواريخ باتريوت الألمانية والهولندية لن تصل إلى سلوفاكيا على الفور (تتوقع هولندا تحقيق ذلك في الخامس عشر من أبريل المقبل) والوقت ينفد بالنسبة إلى الجيش الأوكراني الذي يخوض مواجهات مع الجيش الروسي.

من جهة أخرى، بينما يبدو أن عددا من الدول مستعدة لتزويد كييف بصواريخ احتياطية لمنظومة "أس – 300"، تحتاج أوكرانيا إلى عدد كبير من المنظومات الكاملة بما في ذلك رادارات ومراكز مراقبة.

ويرى برنت إيستوود من موقع "19 فورتيفايف" المتخصص أن منظومة "'أس – 300' أفضل من لا شيء لكنها ليست كافية".

وكانت أوكرانيا تمتلك مئة بطارية "أس – 300" قبل الغزو. ويؤكد الجيش الروسي أنه دمر حوالى أربعين منها في بداية هجومه في الرابع والعشرين من فبراير، كما كتب هذا العسكري الأميركي السابق مؤخرا.

> **بايدن يسعى لتزويد الجيش الأوكراني بدفاعات أفضل ضد المدفعية الروسية التي تقصف المدن الأوكرانية**

وقال إيستوود إن أوكرانيا بلد شاسع ويحتاج إلى الكثير لحماية مدينة فيه. وأضاف "لو كنت أخطط لوزارة الدفاع الأوكرانية، لطلبت أربع بطاريات 'أس – 300' للنقاط الأساسية الأربع في كييف لأشعر بالأمان".

وتمتلك دولتان أخريان في حلف شمال الأطلسي (ناتو) هما بلغاريا واليونان صواريخ "أس – 300"، لكن سيتعين حصولهما على بدائل أيضا.

ومع ذلك حتى لو قرر الجيش الأميركي الذي يعد مخزونه من صواريخ باتريوت محدودا نسبيا إعارة منظوماته لهذين البلدين، سيستغرق الأمر أسابيع حتى تصل إلى وجهتها.

وتحاول واشنطن إقناع حلفائها في المناطق الأخرى بإعارة منظوماتها، لكن مرة أخرى، هذا ليس بالأمر السهل.

وقد يكون رئيس أركان الجيوش الأميركية الجنرال مارك مايلي طلب مساعدة من هذا النوع من اليابان الخميس، فقد اتصل بنظيره الياباني لمناقشة "الوضع الحالي في المحيط الهادئ والغزو الروسي لأوكرانيا"، حسب بيان مقتضب بشأن المحادثة نشرته وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) الجمعة.

ولدى دول الخليج الكثير من البطاريات المضادة للطائرات لحماية نفسها من الصواريخ الإيرانية لكن لا يبدو أنها في عجلة من أمرها لمساعدة أوكرانيا.

وقد تجنبت السعودية والإمارات وهما من أكبر مصدري النفط الخام في العالم وتربطهما علاقات قوية مع الغرب وموسكو، اتخاذ موقف ضد روسيا حتى الآن.

ويأتي ذلك بينما أعلنت وزارة الدفاع الروسية السبت أنها استخدمت الجمعة وللمرة الأولى صواريخ "كينجال" فرط صوتية لتدمير مخزن أسلحة تحت الأرض في غرب أوكرانيا.

واستخدم هذا النوع من الصواريخ في مناورات عدة منذ أول اختبار ناجح له في 2018. وتفيد موسكو بأن هذا النوع من الصواريخ الذي يمكن التحكم به بشكل كبير، تعجز عن رصده كل أنظمة الدفاع الجوي.

مهمة صعبة

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

الحياد المصطنع في ليبيا: المجتمع الدولي مع الدبيبة وباشاغا

لماذا تُبقي الأمم المتحدة وقوى دولية الباب مفتوحا أمام الحكومتين

غموض يعقد المشهد الليبي

الحياد التي تبديه أغلب الدول تجاه وجود حكومتين في ليبيا يرسل إشارة واضحة بأن هناك رغبة في ترك الملف الليبي معلقا دون حل، فلا توافق حول الانتخابات بما تعنيه من مغادرة المراحل الانتقالية إلى الاستقرار السياسي. والأمر مرتبط بحسابات الدول الكبرى وصراعاتها هنا وهناك. ولأجل ذلك تستمر حكومة الدبيبة بالرغم من شرعية حكومة باشاغا.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

مضى نحو شهر على الإعلان عن تشكيل حكومة ليبية برئاسة فتحي باشاغا بتكليف من مجلس النواب، ولا تزال الأمم المتحدة والعديد من القوى الدولية تناور في مسألة الاعتراف بها أو تحسم إشكالية عدم الاعتراف لأسباب محددة، ومضى نحو ثلاثة أشهر على انتهاء مهمة رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبدالحميد الدبيبة من دون أن يمدد لها المجتمع الدولي أو يعترف بفقدان صلاحيتها السياسية.

أصبح الحياد المصطنع حيال الحكومتين مكلفا للشعب الليبي، حيث يدفع ضريبة باهظة للتناقضات الدولية التي أسهمت في إطالة أمد الأزمة، ما يدل على فقدان البوصلة لدى ستيفاني ويليامز المستشارة السياسية لسكرتير عام الأمم المتحدة التي بعثت مرة أخرى بعد رحيلها عن منصبها كمبعوثة أممية لبعثة الدعم في ليبيا بالإنابة، وهي التي حسبت أنها تستطيع التحكم في مفاصل الأزمة بحكم خبرتها وعلاقاتها.

تؤكد المراوحة الراهنة بين الحكومتين أن القوى الدولية التي تمسك بجزء معتبر من مفاتيح الحل والعقد مرتاحة لهذه الحال، وتجدها تحقق جملة كبيرة من الأهداف السياسية، فلا تريد تصعيدا عسكريا متواصلا ولا سلاما مستقرا، يخلط كلاهما بعض الأوراق التي يجري التجهيز لها بشأن ترتيب أوضاع ليبيا لتكون تحت الحزام الغربي.

تدل هذه الحالة على أن الخيارات غامضة وكل ما قيل حول وجود أجندة دولية خرجت من رحم مؤتمرات برلين وجنيف واجتماعات تونس غير واضحة وأركانها لا تزال ناقصة أو يصعب تطبيقها وأن المصالح الحيوية للقوى الكبرى يمكن تحقيقها من خلال باشاغا أوالدبيبة، وبانتظار مؤشرات بعيدة عنهما تحسم الانحياز لأيّ منهما.

يتفهم الرجلان هذه الرجل في هذه الخطوة، فقد عرف باشاغا بعلاقته الوطيدة مع واشنطن وكان مقربا من ستيفاني واحتفظ بروابط جيدة مع تركيا، وهي توليفة سياسية بديعة كافية لتمرير مشروعه في قيادة الحكومة حتى يتم إجراء الانتخابات، وإعادة تكليفه بعدها بالانتخاب الشعبي.

ما الذي تغيّر وأثّر سلبا على فرص باشاغا، أو على الأقل وضع العراقيل على جانبي طريقه، فلا هو قادر على التقدم للأمام ولا التراجع للخلف، وأمره معلق بين السماء والأرض، أو يراد له أن يكون في هذه الحال التي لا تعني القبول أو التضحية به.

تراجعت المؤشرات السلبية الأولى بشأن عدم استمرار حكومة الدبيبة مع الشعور بأن براغماتية باشاغا يمكن أن تؤثر على توجهات الولايات المتحدة، فقد بدا كأنه غير مضمون ولا تشعر الإدارة الأميركية بأنها سوف تحقق أهدافها كاملة من خلاله، وأدى هذا التعقيد إلى منح الضوء للدبيبة للمقاومة وعدم الاستسلام، ما جعل الحرب في أوكرانيا تلقي بظلالها، ويتحول خيار الحياد بين باشاغا والدبيبة إلى سياسة تتبناها الدول الغربية تحت شعار جذاب يدعو إلى التوفيق بينهما والبحث عن نقاط التقاء مشتركة لوضع قاعدة قانونية لإجراء الانتخابات.

يعيد هذا التطور الأزمة إلى نقاط التخبط السابقة، ويفرّغ المؤتمرات الدولية التي عقدت والمبادرات التي طرحت من مضامينها المعلنة بشأن طيّ صفحة الأزمة بأقصى سرعة ممكنة، ويؤكد أن الطريقة التي تتعامل بها القوى الغربية مع الأزمة لن تسمح بتسويتها إذا كانت هناك إمكانية لوقوع ليبيا أو جزء من مواردها في أيدي روسيا، أو حتى تتحول إلى ركيزة أمنية لها في جنوب البحر المتوسط.

وغير مستبعد أن يكون عدم الحسم في ليبيا الآن ضمن سيناريو محكم يستهدف تطويق القوات التابعة لشركة فاغنر الروسية التي تنشط في الشرق والجنوب وإجبارها على الخروج من مناطق تصدير النفط في ليبيا والتحكم فيها، والذي يمكن أن يؤدي عمله بطاقته القصوى إلى سد جزء من العجز المتوقع في النفط الروسي المتجه إلى أوروبا.

تفسر البرودة التي تتعامل بها الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا مع ليبيا، بأنها مرتاحة لدرجة الهدوء التي تبدو عليها الأزمة وفرضها توازنات بين الفصائل المسلحة التابعة لجبهات متصارعة متعددة، ولا تسمح بتفوق طرف على آخر فيتمكن من فرض شروطه والجهات التي يتعاون معها في الخارج، ما يعني أن الحفاظ على المسافة الحالية بين باشاغا والدبيبة أحد الخيارات المفيدة للقوى الغربية.

يعلم الكثير من المتابعين لتطورات الأزمة في ليبيا أن الرجلين لا يملك كلاهما قراره تماما، ولو أرادت هذه القوى فرض حل عليهما أو على أحدهما لتمكنت بسهولة، غير أن هذا الحل مؤجل حتى إشعار آخر، ومطلوب أن تبقى الصورة السياسية والأمنية على هيئتها الرمادية، بما يسمح بتبني تصورات متباينة قد تصل إلى مستوى التناقض فيها.

كما أن المشهد الذي جرى رسمه مع تدشين حكومة الدبيبة العام الماضي دخلت عليها تغيرات أعاقت التوجه نحو استكماله، حيث كان سيقود إلى نتائج مخيبة، وتطبيق معايير الفشل السياسي على الدبيبة يمنح الفرصة لخصومه للتفوق على تكتله.

عادت القوى الدولية إلى مرحلة ما قبل حكومة الدبيبة وكان التردد فيها ظاهرا لعدم اليقين من وجود قوة يمكنها ضبط المعادلة في الفضاء الذي تريده الولايات المتحدة، وعندما تمت هندسة هذه الحكومة على أساس أنها قادرة على ضبط الأوضاع والوصول إلى غاياتها بموجب إجراء انتخابات انهارت مع إخفاقها في إتمام هذه الخطوة، ولا تفكير جادا في محاسبة رئيسها على ما ارتكبه من أخطاء وتجاوزات.

وتشير الليونة المبالغ فيها التي تتعامل بها القوى الغربية معه إلى أن دوره السياسي لم ينته وما زال مطلوبا، والحديث عن نقاط مشتركة بينه وبين باشاغا ما هو إلا أداة لاستثمار الوقت، واستمرار الأزمة على ما هي عليه يشي بأنها تحقق للقوى الرئيسية التي تديرها فوائد، ولن تكون هناك حاجة لوقفها ما لم تكن هناك تطورات ملموسة تؤثر على الحسابات التي أدت إلى الحفاظ على مستوى معين من التقارب بين الحكومتين.

ويظل الحياد المصطنع بينهما وسيلة إلى حين الانقلاب على أحدهما أو تدبير سيناريو ثالث يوفر مساحة للحركة والوصول إلى الغايات المطلوب تحقيقها، فوجود ليبيا على فوهة بركان ربما ينفجر أو تتمكن القوى الغربية من السيطرة عليه ما يساعدها على تسخير أراضيها في معركتها المصيرية الدولية، فقد كانت هذه الدولة، لاعتبارات مختلفة، مسرحا لفصول مهمة في الحرب العالمية الثانية، ويمكن أن تكون كذلك إذا تصاعدت حدة الأزمة بين روسيا والغرب أو ظهور شبح لحرب عالمية ثالثة.

> ما الذي تغير وأثر سلبا على فرص باشاغا، أو على الأقل وضع العراقيل على جانبي طريقه، فلا هو قادر على التقدم إلى الأمام ولا التراجع إلى الخلف

جدل سد النهضة الإثيوبي ينتقل من السياسي إلى الفني في مصر

القاهرة - خلت التصريحات المصرية حول أزمة سد النهضة من المضامين السياسية بعد حديث إثيوبيا عن تفريغ الممر الأوسط من المياه قبل أيام إيذانا بالاستعداد للملء الثالث في أشهر الفيضان المقبلة، يونيو ويوليو وأغسطس.

وركزت غالبية تعليقات الخبراء في القاهرة على الأمور الفنية بما يشير إلى عدم قدرة أديس أبابا على تحقيق أهدافها بشأن النسبة المقررة على غرار كل من الملء الأول والثاني أو توليد الكهرباء من التوربين الذي جرى تركيبه الشهر الماضي.

ويقول متابعون إن التجاهل السياسي الظاهر في الوقت الراهن ينطوي على إشارة بأن هناك جهودا يبذلها بعض الوسطاء لتقريب المسافات بين كل من مصر والسودان من جهة، وإثيوبيا من جهة أخرى، خاصة أن رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد عاد للتمركز مع خطاب السلام والتخلي عن التصعيد الذي تبناه مؤخرا.

ويضيف المتابعون أن التركيز على الجوانب الفنية من قبل مصر يعني تأييدها لمسار وساطة غير معلنة تقوم بها دولة الإمارات العربية المتحدة التي استقبلت في الآونة الأخيرة، بصورة منفردة، كلا من الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي ورئيس مجلس السيادة الانتقالي السوداني الفريق أول عبدالفتاح البرهان.

وتحدثت مصادر سودانية الخميس عن ترتيب محادثات بين مصر والسودان وإثيوبيا بشأن سد النهضة تجرى برعاية الإمارات التي تتمتع بعلاقات جيدة معها، يشارك فيها ممثلون من وزارتي الري والخارجية ومسؤولين من أجهزة أمنية بالدول الثلاث.

وتفك هذه المعلومات ألغاز الهدوء المصري النسبي وتفسر أسباب التركيز على الشق الفني، حيث يراود القاهرة أمل في نجاح دور أبوظبي في العودة إلى طاولة مفاوضات منتجة بعد أن جربت مصر وساطات أفريقية وتدخلات دولية بلا نتيجة، وتيقنت أن اللجوء إلى مجلس الأمن وسط التباين في مواقف القوى الكبرى لن يكون مجديا.

وأصبحت القيادة المصرية أمام مسؤولية تاريخية، حيث يرى مواطنون أن أديس أبابا ماضية في خطتها لتشييد مشروع سد النهضة بلا هوادة، بينما القاهرة صامتة.

وأدت هذه التصورات إلى تسرب اليأس إلى البعض مع ندرة المعلومات حول ما يتم اتخاذه من خطوات مصرية غير معلنة، ويعتقدون أن تجاهل الجوانب السياسية والتركيز على الفنية يعني سقوط الخط الأحمر الذي وضع حول مصير الإضرار بالمياه.

وزاد الجدل في مصر مع الإعلان عن تمرير المياه من الممر الأوسط للسد أخيرا كعلامة على أن أديس أبابا غير معنية بموقف القاهرة أو الخرطوم، أو أن ثمة تفاهمات معهما على أن تمضي بموجبها الأولى في طريقها طالما أن خطواتها لن تتسبب في ضرر لهما، وهو ما يستلزم التعليق عليه فنيا بلا إنزعاج سياسي واضح منهما.

وأعلن رئيس الوزراء الإثيوبي في العشرين من فبراير الماضي البدء في إنتاج الطاقة الكهربائية من سد النهضة وتدشين توربين لتوليد 375 ميغاوات، من إجمالي 13 توربينا سوف يتم تركيبها لتوليد نحو ستة آلاف ميغاوات من السد.

ورأت القاهرة أن الخطوة تكرس التصرفات أحادية الجانب، وقالت وزارة الخارجية المصرية إنها "إمعان من الجانب الإثيوبي في خرق التزاماته بمقتضى اتفاق إعلان المبادئ لسنة 2015"، ولم يصدر تعليق مماثل حيال عملية فتح الممر الأوسط أخيرا، والذي يعني أن الطريق بات ممهدا للملء الثالث.

وأكدت الخرطوم موقفها الثابت المتمثل في ضرورة الوصول إلى اتفاق قانوني بشأن ملء وتشغيل السد، وأن تركيب توربينات توليد الكهرباء وتشغيلها يشكلان خرقاً للالتزامات القانونية، من دون تعليقات رسمية أيضا حول فتح الممر الأوسط.

وبدت لهجة آبي أحمد عقب تدشين التوربين أقل تصعيدا، حيث أشار إلى أن بلاده لا تستهدف الإضرار بمصالح دولتي مصب نهر النيل، ولم يتدخل بالتصريح أو التلميح السياسي في ما يتعلق بفتح الممر الأوسط وأهميته الحيوية.

وأعلنت أديس أبابا استكمال الملء الثاني في يوليو الماضي من دون تأكيد أنها قامت فعلا بتخزين 13.5 مليار متر مكعب من المياه المستهدفة في هذه المرحلة، تضاف إلى خمسة مليارات أخرى في الملء الأول.

وشكك خبراء مصريون في هذه الأرقام وقالوا إن ما تم تخزينه لا يتجاوز عشرة مليارات متر مكعب فقط في الملء الأول والثاني، ويصب التشكيك الفني في تخفيف الضغوط على الموقف الرسمي ويبرر عدم تصعيد القاهرة للأمر سياسيا.

> التجاهل السياسي الظاهر ينطوي على إشارة بأن هناك جهودا يبذلها وسطاء لتقريب المسافات بين الأطراف المعنية

ودعا بيان لمجلس الأمن الدولي في سبتمبر الماضي إلى استمرار المفاوضات بين الدول الثلاث برعاية الاتحاد الأفريقي بـ"طريقة بناءة وتعاونية.. وفي غضون فترة زمنية معقولة"، من دون الإشارة إلى سقف زمني محدد.

وتكاد تكون المفاوضات على المسار الأفريقي طواها النسيان، ولم تعد مصر تضغط لأجلها بعد فقدان الثقة في جدواها ولا يحاول السودان استدعاءها، ولا السنغال كرئيسة للاتحاد الأفريقي للدورة الحالية عابئة باستضافة جولة قريبا بين الدول الثلاث.

ونشر عباس شراقي، وهو أحد أهم الخبراء المصريين في المياه وأستاذ الجيولوجيا بجامعة القاهرة على صفحته الخاصة على فيسبوك صورة بالأقمار الصناعية لموقع سد النهضة بشأن توقف المياه فوق الممر الأوسط.

وقال إن إثيوبيا فتحت بوابتي التصريف في الثاني عشر من مارس الجاري بعد فشل التوربين رقم 10 الذي أعلن عن تشغيله في فبراير الماضي في تمرير المياه الزيادة التي تعبر الممر الأوسط ويبلغ مقدارها حوالي 30 مليون متر مكعب يوميا خلال هذه الفترة، وعدم تشغيل التوربين الثاني حتى الآن.

ويشير فتح الممر الأوسط حاليا إلى بدء الاستعداد لعملية تعلية جديدة تحتاج لتصل إلى غايتها كاملة، أي نحو 30 مترا كي يصل الارتفاع إلى منسوب 595 مترا فوق سطح البحر، ويتم حجز 7 مليارات متر مكعب حتى منتصف أغسطس.

بعد ذلك تغمر مياه الفيضان الممر الأوسط كما حدث العام الماضي ليمر الفيضان إلى السودان ومصر، فضلا عن المياه التي تمر من التوربينين حال تشغيلهما تماما.

تجاهل سياسي لأزمة سد النهضة

مؤتمر الرياض وإعادة تشكيل «الشرعيّة» اليمنية

رفض الحوثي مستند على موازين القوى ميدانيا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ما الذي يمكن أن يسفر عنه الحوار اليمني – اليمني الذي دعا مجلس التعاون لدول الخليج العربي إلى عقده في الرياض ابتداء من التاسع والعشرين من آذار – مارس الجاري؟

سيعتمد الكثير على مشاركة الحوثيين (جماعة أنصارالله) في هذا الحوار. لا أمل، إلى الآن، في مثل هذه المشاركة في ظلّ موازين القوى القائمة على أرض اليمن. كانت مثل هذه المشاركة ستعني أن إيران مستعدة للبحث في مستقبل اليمن مع دول مجلس التعاون الست من زاوية إعادة النظر في ما تعتبره إنجازا تحقّق لها، بفضل الحوثيين، في شبه الجزيرة العربيّة. في النهاية، حوّلت "الجمهوريّة الإسلاميّة" جزءا من اليمن إلى قاعدة صواريخ وطائرات مسيّرة تعمل من خلالها على ابتزاز الدول الخليجية، في مقدّمتها المملكة العربيّة ودولة الإمارات العربيّة المتحدة.

تبيّن أن نقطة الضعف الأولى كانت في «الشرعيّة» التي لم تستطع تحقيق أيّ انتصار عسكري في أيّ مكان من اليمن وذلك منذ باشر الحوثيون زحفهم في اتجاه صنعاء

في غياب مفاجأة من النوع الثقيل، يبقى جانبان مهمان لمؤتمر الرياض. أولهما إعادة التركيز على اليمن ومأساته والآخر إعادة تشكيل "الشرعيّة" القائمة منذ شباط – فبراير 2012. أثبتت تلك "الشرعيّة" فشلا ليس بعده فشل على كلّ صعيد، خصوصا في مجال مواجهة الحوثيين. كان لا بدّ من إخراج لعمليّة إعادة تشكيل "الشرعيّة". يمكن لمؤتمر الرياض أن يكون فرصة لا تعوّض لإعادة النظر في "شرعيّة" عاجزة لا أكثر.

استطاعت إيران في ضوء جهود استمرّت سنوات طويلة إيجاد قاعدة صواريخ ومسيّرات في شمال اليمن. كان يمكن أن يكون اليمن كلّه تحت السيطرة الإيرانيّة لولا الحرب الدفاعيّة التي شنّها التحالف العربي في مثل هذه الأيّام من العام 2015 ردًا على الاستفزازات الحوثيّة تحت عنوان "عاصفة الحزم".

لولا تلك الحرب الدفاعيّة، لما انكفأ الحوثيون الذين يسمّون أنفسهم "جماعة أنصارالله" عن مناطق عدّة من بينها عدن، عاصمة الجنوب وميناء المخا الاستراتيجي الذي يتحكّم بمضيق باب المندب، أي بحركة الملاحة في البحر الأحمر وبحركة المرور في قناة السويس.

يمكن الخوض في جدل طويل في شأن ما حققته "عاصفة الحزم" وما لم تحقّقه وفي تفنيد أخطاء كثيرة ارتكبت، بما في ذلك الخلط في مرحلة معيّنة بين علي عبدالله صالح والحوثيين اللذين تحالفا ظاهرا، لكنّه كانت هناك خلافات كبيرة في العمق بينهما. أدّت هذه الخلافات إلى اغتيال الحوثيين للرئيس السابق في الرابع من كانون الأوّل – ديسمبر 2017.

لكنّ ما لا يمكن تجاهله أن تلك الحرب كانت دفاعيّة وجاءت ردًا على الاستفزازات الحوثيّة في مرحلة ما بعد وضع اليد الإيرانيّة على صنعاء في 21 أيلول – سبتمبر 2014.

مرّت سبع سنوات على "عاصفة الحزم". تبيّن أن نقطة الضعف الأولى كانت في "الشرعيّة"، في الرئيس المؤقت عبدربّه منصور هادي ونائبه علي محسن صالح الأحمر، قريب علي عبدالله صالح. كان علي محسن صالح الشريك في السلطة طوال سنوات وذلك قبل انقلابه على الرئيس الراحل في شباط – فبراير 2011. لم تستطع هذه "الشرعيّة" تحقيق أيّ انتصار عسكري في أيّ مكان من اليمن وذلك منذ باشر الحوثيون زحفهم في اتجاه صنعاء، عبر محافظة عمران، صيف العام 2014.

ما حدث أخيرا، بعد تطهير قوات العمالقة لمحافظة شبوة من الحوثيين وتحقيق هذه القوات اختراقات في مأرب مع ما يعنيه ذلك من كسر للحصار على مدينة مأرب نفسها، يدعو إلى طرح تساؤلات.

من بين هذه التساؤلات لماذا نجحت قوات العمالقة، وهي في معظمها جنوبيّة، ولماذا فشل جيش "الشرعيّة" الذي صُرفت عليه أموال طائلة تقدر بمئات الملايين من الدولارات، وثمة من يقول المليارات من الدولارات، كما زُوّد بآليات عسكرية كان ممكنا أن تساعده في مواجهة الحوثيين بدل التركيز على قوى يمنيّة أخرى، خصوصا في عدن.

ما حققته قوات العمالقة فضيحة ليس بعدها فضيحة لـ"الشرعية" اليمنية التي يتبيّن يوميًا أنّ لا علاقة بأيّ نوع من الشرعيات.

يفرض الفشل المكرّر لـ"الشرعيّة" إعادة النظر في تشكيلها. ذلك هو التحدي الذي يواجه مؤتمر الرياض. ما الفائدة من رئيس مؤقت، كان مفترضا تغييره بعد عامين، أي في العام 2014، عندما لا يكون هذا الرئيس قادرا على الذهاب إلى مسقط رأسه في محافظة أبين؟ ما الفائدة من جيش جرار لم يستغل أيّ فرصة سنحت له من أجل تغيير الواقع الذي فرضه الحوثيون على الأرض، أكان ذلك في تعز أو في مأرب أو الجوف.. الخ؟

هذا غيض من فيض المآخذ على "شرعيّة" لا فائدة تذكر منها، "شرعيّة" غير قادرة على ممارسة مهماتها من الأرض اليمنيّة. إنّها "شرعيّة" يسيطر عليها الإخوان المسلمون (جماعة حزب الإصلاح اليمني) تمتلك قنوات اتصال مع الحوثيين. هي تناسبهم وهم يناسبونها.

غابت المأساة اليمنيّة، وهي مأساة شعب مقهور يعاني من الفقر والجوع والمرض، عن الشاشة العربيّة والإقليمية. غابت هذه المأساة في ضوء الحرب الأوكرانيّة. ما لا يمكن أن يغيب هو الحاجة إلى نقطة انطلاق تستكمل ما تحقّق عسكريا بفضل التحالف العربي منذ آذار – مارس 2015.

تبدو الحاجة، أكثر من أيّ وقت، إلى رؤية سياسية تواكب إعادة تشكيل "الشرعيّة" سياسيا وعسكريًا. من الظلم بقاء الشعب اليمني أسير الحوثيين، الذين لا يمتلكون ما يروّجون له وما يفرضونه على الأرض غير الجهل والبؤس من جهة... وأسير "شرعيّة" عاجزة عن توفير أيّ أمل يكسر الحلقة المقفلة التي يدور فيها اليمن من جهة أخرى.

يدور اليمن في حلقة مقفلة منذ سنوات عدّة بعدما نفّذ الإخوان المسلمون انقلابهم على علي عبدالله صالح من دون إدراك أن الحوثيين سيتحولون إلى الطرف المستفيد الأوّل والأخير من هذا الانقلاب. تحتاج هذه الحلقة المقفلة إلى من يكسرها لا أكثر ولا أقلّ. نقطة الانطلاق معروفة ولا يمكن أن تكون بغير إعادة تشكيل "الشرعيّة"... مؤتمر الرياض فرصة لتحقيق هذا التغيير الذي يُفترض أن تكون له نتائجه على الأرض!

اليمن أولى ضحايا الحرب في أوكرانيا: المانحون مشغولون

عدن – مع انشغال العالم بأوكرانيا، فشلت الأمم المتحدة هذا الأسبوع بجمع الأموال الكافية من المانحين الدوليين لمساعدة اليمن على تغطية احتياجاته لتفادي كارثة كبرى في البلد الفقير الغارق في الحرب.

وتحذّر المنظمات الإغاثية من أنّ نقص التمويل، وأحد أسبابه غياب ممولين رئيسيين في دول الخليج، سيعود بعواقب تفاقم آثار النزاع الذي قتل مئات الآلاف وشرّد الملايين من السكان ودمّر الاقتصاد وتسبّب بأكبر أزمة إنسانية في العالم.

في افتتاح مؤتمر للمانحين الأربعاء، حذّر رئيس هيئة المساعدات الإنسانية السويسرية مانويل بيسلر من أنّ "أوكرانيا تبقينا مشغولين (...) لكن من الضروري ألا ننسى أيّ أزمة أخرى"، وخصوصا اليمن.

لكن في ختام الاجتماع، لم تستطع الأمم المتحدة إلا أن تعرب عن إحباطها بعدما جمعت 1.3 مليار دولار من أصل 4.27 مليار دولار يحتاجها اليمن.

ويقول ممثل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في اليمن أوك لوتسما لوكالة فرانس برس إنّ هذا "يعني أن احتياجات (اليمنيين) لن تتم تلبيتها"، محذّرا "هذا هو أحلك وضع عرفناه حتى الآن للبلاد".

ومنذ عدة أشهر، كانت الأمم المتحدة تعرب عن القلق من عواقب نقص التمويل للمساعدات الإنسانية، بينما شهد الصراع على الأرض تجدد العنف بشكل منتظم بين المتمردين الحوثيين الموالين لإيران والحكومة المدعومة من تحالف عسكري بقيادة السعودية.

وفي الخامس والعشرين من فبراير الماضي، بعد يوم من اندلاع الحرب، حذر برنامج الأغذية العالمي من أن الحرب في أوكرانيا "ستؤدي على الأرجح إلى زيادة أسعار الوقود والغذاء في اليمن".

وقال البرنامج في بيان "يؤدي تصعيد الصراع في أوكرانيا إلى زيادة أسعار الوقود والغذاء، وخاصة الحبوب في اليمن، الذي يعتمد بشكل شبه كامل على الاستيراد".

جاء هذا التنبيه بعد أن كان البرنامج قد اضطر إلى خفض الحصص الغذائية، لثمانية ملايين شخص في اليمن، في بلاد تقف على حافة المجاعة.

وفيما تتزايد أعداد الأشخاص الذين يواجهون خطر المجاعة، فإنّ اليمن، أفقر دولة في شبه الجزيرة العربية، يرى حربا أخرى تهدّد أمنه الغذائي، حيث توفّر أوكرانيا ما يقرب من ثلث إمداداته من القمح.

واضطر برنامج الأغذية العالمي بالفعل إلى خفض الحصص الغذائية لثمانية ملايين يمني هذا العام. وإضافة إلى ذلك، فإنّه وفقًا لوكالات الأمم المتحدة، قد يحتاج ما يصل إلى 19 مليون شخص من بين 30 مليونا إلى مساعدات غذائية خلال النصف الثاني من عام 2022.

وتلبية احتياجاتهم الغذائية تتطلب 181.4 مليون يورو شهريًا ضمن "أحد أهم البرامج في تاريخ برنامج الأغذية العالمي"، حسبما تقول المتحدّثة باسم البرنامج لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عبير عطيفة.

وتابعت عطيفة "كنّا نتوقع المزيد خاصة من المانحين في منطقة" الخليج.

ففي حين أنّ السعودية والإمارات كانتا أكبر الدول المانحة في عام 2021، إلا أنّهما لم تقدّما أيّ وعود هذه المرة. والسبب وفق مراقبين يعود إلى غياب الجدية لدى مختلف الشركاء لأجل التوصل إلى حل سياسي، وأن هذا الوضع جعل الأموال التي تدفع بها السعودية والإمارات تذهب إلى غير ما تريدانه.

ولا تترك الحرب أيّ فرصة لوضع الرياض أو أبوظبي خططا لتطوير واقع اليمنيين من خلال دعم الزراعة أو المشاريع الصناعية، وهو الأمر الذي يجعل الخيار الوحيد المتاح هو تقديم المساعدات المباشرة، وهي طريقة لا تحل الأزمة الإنسانية في البلاد.

وتعلن الرياض وأبوظبي بانتظام عن إرسال مساعدات للبلاد من خلال شبكتيهما الخاصتين من الوكالات الإنسانية المحلية.

والأربعاء، شدّدتا على ضرورة وضع حد للأعمال "الإرهابية" للحوثيين، فيما أكّد الممثل الإماراتي أن المتمردين "يعرقلون ويحولون المساعدات الإنسانية".

وجاء إحجام الدولتين عن الإعلان عن مساعدات ضمن المؤتمر في وقت تمرّ علاقاتهما مع الولايات المتحدة بمرحلة من التوتر، إذ ترفض إدارة الرئيس جو بايدن تصنيف الحوثيين منظمة إرهابية، رغم هجماتهم المتكرّرة على السعودية والإمارات.

الأمم المتحدة أعربت عن إحباطها بعدما جمعت 1.3 مليار دولار من أصل 4.27 مليار دولار يحتاجها اليمن بشكل عاجل

وترى الباحثة في جامعة أكسفورد إليزابيث كيندال أنّ البلدين المتحالفين "يبدو أنّهما يريدان الآن التحكم في تمويلهما (للمساعدات الإنسانية المخصّصة) لليمن، بدلاً من تكليفها للأمم المتحدة".

وتشير إلى أنّ المناطق الأكثر تضرّرًا من الأزمة الإنسانية هي بيد الحوثيين وفي قلب المعارك الدائرة. والمملكة العربية السعودية، على غرار الإمارات العربية المتحدة، متردّدة في رؤية المساعدات تذهب إلى المناطق التي تدعم فيها قوات الحكومة في معاركها.

وبحسب الباحث في مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية عبد الغني الإرياني، فإن دول الخليج تسعى لأن تقدّم مساعدات "بالطريقة التي تجني فوائد سياسية أكبر، من خلال منظماتها الخاصة".

والخميس، قال مجلس التعاون الخليجي إنه يسعى لاستضافة مباحثات بين الأطراف اليمنية المتحاربة في السعودية، على الرغم من رفض المتمردين الحوثيين إجراء محادثات في "دول معادية".

وكانت الأمم المتحدة قد دعت المجتمع الدولي إلى توفير دعم "عاجل" لليمنيين، وعدم نسيان الأزمة الإنسانية في بلادهم، وذلك على لسان وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، والمبعوث السابق إلى اليمن مارتن غريفيث، حين قال إن "سنوات الحرب دمرت حياة الناس في اليمن".

وأضاف "رغم أن اليمنيين يحتاجون إلى دعم عاجل، هناك الكثيرون بلا مساعدة بسبب نقص التمويل"، حاثا على "عدم نسيان هذه الأزمة الإنسانية وتمويل جهود الإغاثة المنقذة للحياة".

وتأتي تصريحات غريفيث بعد إعلان اللجنة الدولية للصليب الأحمر، في بيان أن "الوصول إلى الاحتياجات الأساسية مثل الرعاية الصحية بات محدودا بشكل خطير في العديد من المناطق باليمن؛ بسبب اضطرار المنظمات لتقليص المساعدات إثر نقص التمويل".

ومع حرب مستمرة منذ أكثر من سبع سنوات، يواجه أكثر من 23 مليون شخص في اليمن الجوع والأمراض ومخاطر أخرى، بزيادة 13 في المئة عن العدد الذي سجل في 2021، حسب الأمم المتحدة. وتشهد البلاد انهيارا في الخدمات الأساسية والاقتصاد.

وتقول الأمم المتحدة إن نحو 161 ألف شخص سيواجهون قريبا "انعداما كارثيا في الأمن الغذائي ينذر بما يمكن أن يحدث لـ7.1 ملايين شخص أصبحوا على بعد خطوة واحدة فقط عن هذه المرحلة الأخيرة من أزمة إنسانية".

وسيحتاج نحو ثلاثة أرباع السكان إلى مساعدات إنسانية في 2022، حسب غريفيث.

وقال المسؤول الأممي في مؤتمر صحافي "هذه النسبة تجعلنا نقول إن الوضع الإنساني في اليمن من بين الأسوأ في العالم".

شظايا الحرب الأوكرانية تصيب اليمن

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي
رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

مرض اسمه إيران

الصواريخ التي أصابت أربيل لم تدفع بايدن للتحرك

علي الصراف
كاتب عراقي

إذا لم تكن الصواريخ الباليستية الـ12 التي أطلقتها إيران على موقع قريب من القنصلية الأميركية في أربيل قد لقنت إدارة الرئيس جو بايدن درسا، فما شيء يمكنه أن يثبت أنها أقدر على السمع من حجر أصم.

وإيران تمارس التعديات والتهديدات ضد الولايات المتحدة منذ 43 عاما من دون انقطاع. ولقد أمنت العقاب المناسب باستمرار، لا لشيء إلا لأن قادة الولايات المتحدة، منذ أيام جيمي كارتر إلى يومنا هذا، ظلوا يعتبرون إيران قوة عصية على التحدي.

إيران أصبحت مرضا سياسيا وأمنيا وعسكريا لا شفاء منه، منذ انقلاب العام 1979 الذي جاء بالخميني إلى السلطة. وكأيّ مرض مقاوم للمضادات الحيوية، فقد فشلت الإغراءات والتسويات السياسية المرنة في الحد من مخاطره

هذا هو السبب الذي يجعلهم يتراجعون أمامها ويؤثرون تقديم المغريات، بدلا من الأخذ بحلول جذرية ضدها.

إيران تفهم ذلك جيدا. وتتصرف على أساسه. فتزيد في توجيه الإهانات للولايات المتحدة، وتزيد في الاستخفاف بها وبمصالحها في المنطقة، حتى بلغ الأمر بالرؤساء الأميركيين الثلاثة، باراك أوباما ودونالد ترامب وهذا الأخير، أن يفروا من أمامها، عاجزين حتى عن الرد على هجماتها المسلحة. وحتى ليبدو أنهم كانوا يشجعونها على المزيد.

لا تحتاج إيران أن يكون لها عملاء مأجورون في البيت الأبيض ولا في البنتاغون. ذلك أن لديها هناك من يعملون في خدمتها، بما يفترضون أنه ذكاؤهم الخاص، بينما يقول الواقع إنهم أجهل من الجهل نفسه.

إيران أصبحت مرضا سياسيا وأمنيا وعسكريا لا شفاء منه، منذ انقلاب العام 1979 الذي جاء بالخميني إلى السلطة. وكأيّ مرض مقاوم للمضادات الحيوية، فقد فشلت الإغراءات والتسويات السياسية المرنة في الحد من مخاطره.

نزعات هستيرية تمتزج فيها الأوهام والخرافات المذهبية بالاستعداد لممارسة أبشع الأعمال الإجرامية، مع قناعة مطلقة بأنها قابلة للغفران، إنما تجعل أتباع الولي الفقيه مجرد أدوات عمياء، لا يهمها القتل، ولا يحرك مشاعرها سفك الدماء. الكل شهداء. الأحياء منهم والأموات.

ها هنا فقط تكمن قوة إيران الحقيقية. إنها قوة مرض يستحكم بالنفوس وينزع عنها إنسانيتها ويجرّدها من كل اعتبار، حتى ليصعب أن تكون من جنس البشر. إنهم حيوانات ضالة غلبت عليها الشراسة، والاعتقاد المطلق بأنها هي الحق، مهما ارتكبت من الفظائع.

ولكنها ليست كل إيران. الجزء الأكبر من الإيرانيين نجحوا في أن يستردوا إنسانيتهم من هذا المرض. إلا أنهم ظلوا بلا حول ولا قوة في مواجهته. لأن الطرف الخارجي ظل عاجزا عن المشاركة في توجيه ضغوطه إلى الداخل، مكتفيا بمناوراته وضغوطه الخارجية.

ولك أن تتخيل التوقيت؛ أن تتخيل معناه. لقد أُطلقت تلك الصواريخ على أربيل، على أعتاب توقيع وثائق العودة إلى الاتفاق النووي، ممّا يوفر لإيران عشرات المليارات من التمويلات ويعيدها إلى سوق التجارة العالمية بالنفط وبغيره. وهي أُطلقت على أعتاب المساعي لتشكيل حكومة جديدة في بغداد، كان القادة الأكراد أنفسهم لعبوا دورا في تسويق مطالب قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني لكي تضم الجماعات المسلحة الموالية لإيران.

وعلى أعتاب محادثات جوهرية مع السعودية لتطبيع العلاقات معها ومع باقي دول الخليج.

لقد سخرت تلك الصواريخ من كل هذا، دفعة واحدة.

يخطئ من يظن أنها كانت نوعا خطأ في التقديرات. بالعكس تماما. إنها تعكس بدقة صواب التقديرات في إيران. هذه التقديرات تقول، نحن قوة لا يغلبها غالب، مهما فعلت.

الوجه الحقيقي للمسألة هو أن الولايات المتحدة التي هربت من أمام إيران، وآثرت أن تخسر مصالحها هي نفسها، لكي لا تخوض المواجهة، إنما وفرت لإيران تلك القناعة بأنها قوة لا يمكن تحديها، وأنها تستطيع أن تضرب أيّ أحد، من دون أن تخشى العواقب.

لقد استغنت إيران حتى عن وكلائها الذين كانت تتغطى بهم. ولسوف تجرؤ على أن تضرب السعودية وأيّ دولة أخرى في الخليج أيضا. فقط انتظر، وسترى.

قد يمكن للحجارة الصماء في البيت الأبيض والبنتاغون أن تفهم المخاطر، إلا أن القائمين على الأمر في واشنطن أصم من تلك الحجارة. هؤلاء يريدون المحافظة على مصالحهم في المنطقة، إلا أنهم لا يريدون الدفاع عنها! شيء عجيب فعلا.

إنهم يزيدون في تقديم الإغراءات لإيران، ويطلقون يدها في الوقت نفسه لكي تتحدى نفوذهم ومصالحهم ومصالح حلفائهم. ويتصرفون كما لو أنهم يعجزون عن فهم البديهيات.

دول المنطقة تملك قدراتها الدفاعية الخاصة. إلا أن قرار الحرب ضد إيران لا يمكن من الناحية الفعلية اتخاذه من دون مشاركة الولايات المتحدة وكل ذوي المصالح الكبرى في العالم.

مصالح هذه الدول في أوكرانيا ليست أكبر من مصالحها في الخليج! أفهل رأيت كيف أن الحجر الأصم يكاد يصرخ، بينما البيت الأبيض بلا أذن تسمع ولا عين ترى؟

أوكرانيا بلد مسالم أصبح ضحية للعدوان، مما يستوجب الدعم والتضامن. هذا صحيح. وهو بلد أوروبي طبعا، يجعل نزعة العيون الزرق، تشتغل وتغلي أكثر. هذا صحيح أيضا. ولكن هل يجب أن ترتدي دول الخليج عيونا زرقا لكي تدافع الولايات المتحدة وأوروبا عن نفوذها وميزانها التجاري مع هذه الدول؟ وهل الحروب الإيرانية في العراق ولبنان واليمن، عمل عدوانيّ أقل؟

لا يوجد حل خارجي لمكافحة المرض الإيراني. الحرب ليست خيارا لأنها لا تملك إلا أن تكون ساحقة تماما. شيء أشبه بعمل جراحي يقتلع السرطان من جذوره.

أحد أبرز المخاطر التي تواجه هذا الخيار، هو أن الاقتصاد العالمي سوف يجثو على ركبتيه إذا انقطعت إمدادات النفط. حتى الأسعار التي قالت إن برميل النفط سيبلغها بمقاطعة روسيا، بما قد يصل إلى 300 دولار، سوف تكون متواضعة إذا ما توقف الإمدادات عبر مياه الخليج، بما أنها تغطي نحو خُمس الإمدادات العالمية.

ولكن ذلك لا يجب أن يعني إعاقة الحل الداخلي، كما أنه لا يجب أن يعني تقديم التسهيلات والتمويلات للمرض لكي يزيد في شراسته وتهديداته.

الحجر الأصم يمكنه أن يفهم، أن العودة إلى الاتفاق النووي سوف تمنح عصابات الولي الفقيه ما يبرر لها سحق التمرد الداخلي ضدها في إيران، وما يبرر لها توجيه التهديدات إلى كل من تشاء، بينما يغلبها الشعور بأنها قوة لا يغلبها غالب، وأنها تستطيع أن تطرد الولايات المتحدة من المنطقة.

الخشية من امتلاك إيران لسلاح نووي، هي مجرد ذريعة كاذبة للتماهي مع المرض ولقبول تهدياته.

النظر إلى خطر، وتجاهل آخر، ليس هو الحل. استمرار الحصار وتشديد العقوبات الاقتصادية وفرض أقصى أشكال العزلة السياسية والدبلوماسية، هو الحل. وحتى ولو اختارت إيران أن تمارس تهديدات موضعية كتلك الصواريخ الـ12، فإن ردودا موضعية مماثلة قد تكفي للحؤول دون الانزلاق إلى حرب مفتوحة. فإيران تخشاها أيضا.

لقد حققت العقوبات هدفا غير مباشر، سوف يثبت أنه هو الأهم. فهي عزلت المرض داخل إيران، وكشفت فضيحته أمام الملايين من الإيرانيين، وأتاحت الفرصة لهم للتمرد على سلطة الولي الفقيه.

العودة إلى الاتفاق النووي وتقديم الأموال لسلطة المرض، سوف تقطع الطريق على هذا الاتجاه، رغم أنه الوحيد الذي يمكنه أن يقتلع السرطان.

وبدلا من إعادة تمويل سلطة العدوان، فإن تمويل المعارضة الإيرانية، بتلك الأموال المجمدة، أجدى وأنفع. هذا هو الحل الوحيد الذي يمكن أن يتحقق بفضله الشفاء التام.

صواريخ أربيل.. مرة أخرى

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

لقد تعودنا على رؤية النظام الإيراني، دائما، وعلى امتداد أربعين سنة، وهو يأمر وكلاءه العراقيين بإرسال صواريخه ومسيراته ومفخخاته إلى ما يشاء من مدن العراق ومؤسساته ومدارسه ومستشفياته، ثم يُبرّئ نفسه من أية مسؤولية، رغم أن المعروف والثابت أن أيّ واحد من خَدَمه الولائيين لا يرمي عقب سيجارة على أحد بدون أوامر مباشرة ومحددة ومفصلة من الإيراني المكلف بإدارة الملف العراقي من وراء الحدود.

إلا هذه المرة. فقد أعلن، على غير عادته، وعن قصد مبيَّت، عن مسؤولية حرسه الثوري عن الصواريخ الأخيرة التي بررها بوجود قاعدة للموساد الإسرائيلي في أربيل.

ثم كرر تهديداته بالتحرك نحو الأراضي العراقية للقضاء على أخطار الوجود الإسرائيلي في أربيل.

فقد قال رمضان شريف المتحدث باسم الحرس الإيراني لتلفزيون المسيرة "في حال لم يتحرك المسؤولون العراقيون لإزالة باقي المقرات الإسرائيلية في إقليم كردستان فسنرد دون تردد".

وما لم يقله المتحدث باسم الحرس الثوري، صراحة، تطوع معلقون عراقيون ولبنانيون موالون لإيران ليقولوه بالنيابة عنه، وربما بتكليف منه، وهو أن كردستان العراق سيغدو أوكرانيا ثانية إذا بقيت نفس الأهداف "الإسرائيلية" ولم تتم إزالتها.

وقبل أن نتقدم أكثر في متابعة الحديث ينبغي أن نسجل هنا أن الادعاء بوجود مقرات إسرائيلية في كردستان يمكن رؤيتها بالعين المجردة، أو حتى بعيون جواسيس الحرس الثوري، خائب ولا يمكن احترامه، وذلك لسبب بسيط هو أنه من غير المعقول أن المخابرات الإسرائيلية، في حال ثبوت وجودها، لن تترك مقار عملها ظاهرة للعيان، أو أن تمارس عملها ضد النظام الإيراني في ضوء النهار. ومطالبة التيار الصدري وجماعة الإطار التنسيقي الولائي الإيراني بالتحقيق للتأكد من صحة الاتهامات الإيرانية هي الأخرى كلام بلا معنى وضرب من ضروب الاحتيال.

أما التهديد الإيراني بغزو كردستان العراق، كما غزا بوتين أوكرانيا فلا يجهل النظام الإيراني أن دخوله إلى الحمام العراقي الكردي والعربي، هذه المرة، لن يكون أبدا كالخروج منه لعدة أسباب، أهمها أن في العراق العربي، وفي العراق الكردي، شعبا لا يقل وطنية وشهامة وشجاعة عن شعب أوكرانيا.

فالمقاتل العراقي الكردي والمقاتل العراقي العربي المعروفان بالبسالة والرجولة والثبات، خصوصا بعد كل القبح الذي ملأ القهر الإيراني الطائفي العنصري قلبيهما، متيقظان، متحفزان لخوض معركة الكرامة الوطنية حتى الانتصار الأخير. وقد يكون الغزو الإيراني المزعوم هو الضارة النافعة. فسوف يُعجل بإدراك القيادات الكردية الحقيقة التي غيبَّها عنها الطمع الشخصي والأنانية الحزبية العابرة، وهي أن وجودها في دولة عراقية موحدة حرة مستقلة وقوية أضمن لها ولشعبها من بقائها في دولة مفككة مفتتة لا يجد فيها المواطن في ظل الهيمنة الإيرانية الاحتلالية ما يحمي حاضره ومستقبله ومستقبل أجياله القادمة، وسيعجل بعودتها إلى الصراط المستقيم.

شيء آخر. إن الغزو الإيراني المزعوم لكردستان يعني، بكل الحسابات، نسفا لمصالح تركيا الاقتصادية والسياسية والأمنية، وتهديدا خطيرا جدا لأمنها القومي، الأمر الذي سيفرض عليها أن يكون دورها مثل دور مولدوفا ورومانيا وبولندا لأوكرانيا، ولن يكون لإيران في كردستان روسيا بيضاء أو شيشان أخرى تمدها بالمقاتلين والمعدات لإعانتها على الإثم والعدوان.

إضافة إلى أن دولا أخرى عديدة في المنطقة والعالم متضررة من إرهاب النظام الإيراني وميليشياته العراقية واللبنانية واليمنية ستجد في الغزو الإيراني المزعوم لكردستان فرصتها النادرة للانتقام من النظام الإيراني العدواني الإرهابي وإغراقه في المستنقع الجديد، تماما كما يحدث لحليفه الروسي في أوكرانيا هذه الأيام.

وقد كتب كثيرون من زملائنا الكتاب والمحللين عن هذه الواقعة ولم يُبقوا لنا فيها شيئا يضاف. ولكن هذه المقالة مخصصة لإثبات مسؤولية القيادات السياسية الكردية الحاكمة في أربيل والسليمانية، معا، ليس فقط عن الصواريخ الأخيرة، بل عن جميع ما سبقها، نتيجة تحالفها مع الأحزاب الدينية الطائفية الرجعية المتخلفة، وهي تعلم بأنها إيرانية الولادة والرضاعة والولاء.

فلولا هذا التحالف من قبل الغزو الأميركي في 2003 لما حدث للوطن وأهله ما حدث من تمزيق وتشويه وتخريب وإفقار وإذلال واحتلال.

فقد اختار القادة السياسيون الأكراد أن يتحالفوا مع الوكلاء العراقيين للنظام الإيراني وحرسه الثوري منذ العام 1990 في (لجنة العمل المشترك) في دمشق، ثم في مؤتمر بيروت 1990، ثم مؤتمر فيينا، ثم مؤتمرات نيويورك ولندن وصلاح الدين، وكانوا معا دائما يفضلون الخلوة في الطوابق العليا من الفنادق التي يعقدون فيها مؤتمرات المعارضة العراقية، فيتخذون قراراتها وحدَهم ويُنزِّلونها على الرعية كاللوح المحفوظ.

هذه المقالة مخصصة لإثبات مسؤولية القيادات السياسية الكردية الحاكمة في أربيل والسليمانية، معا، عن تحالفها مع الأحزاب الدينية الطائفية الرجعية المتخلفة

وحين جاؤوا يداً بيد مع الاحتلال الأميركي – الإيراني للعراق، أفردت لهم الأحزاب الإسلامية، بوصاية من إيران، مكانة أكبر بكثير جدا من أي حليف آخر في مجلس الحكم سيء الصيت، ومنحتهم حقوق المشاركة في كتابة الدستور على مقاس مصالحها، وتقاسمت معهم تفصيل الحكومة، ووفق مطالب أحزابهم وأسَرهم وعشائرهم، بدون أي اعتراض، مقَابل سكوت القيادات الكردية عن تحويل الدولة التي كان اسمها العراق إلى محافظة من محافظات الجمهورية الإسلامية في إيران، والسماح لنوري المالكي وإبراهيم الجعفري وآل الحكيم وآل الصدر وهادي العامري وقيس الخزعلي وأبي فدك وأبي علي العسكري بأن يصبحوا رؤساء ووزراء وأصحاب ميليشيات، وبأن يكون قاسم سليماني، ومن بعده إسماعيل قاآني رئيس الرؤساء، ووزير الوزراء، رغم أنهم يعلمون أكثر من غيرهم بأن هؤلاء مزورون، ملفقون، متآمرون، غدارون لا يؤتمنون.

ولولا ذلك التحالف المسموم بين قادة الحزبين الكرديين وجماعة "اقتل القتيل وامشِ في جنازته" لكان للعراقيين، اليومَ، عربا وكردا، وطنٌ سليم ومعافى، عادل وعاقل يحترم نفسه وشعبه، وبلا صواريخ ومفخخات ومتفجرات وكواتم صوت وطرف ثالث ملثم يغتال في الظلام وتسجل الجريمة ضد مجهول.

القادة الأكراد يتحملون المسؤولية

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

هل بمقدور واشنطن إعادة ترسيخ الردع لمواجهة الخصوم

السياسات الفاشلة وخسارة الحلفاء تحدان من استراتيجية تمكين الدبلوماسية

الولايات المتحدة لم تعد قادرة على قيادة العالم لوحدها وفسحت تراجعاتها المجال لظهور قوى جديدة قادرة على منافستها على مواقع النفوذ.. والمفارقة هنا أن واشنطن باتت عاجزة عن العودة إلى استراتيجية الردع لفرض أجنداتها كما باتت عاجزة عن التمكين لدبلوماسيتها التي على أساسها أخذ القادة قرارا بالانسحاب من الصراعات.

انكفاء أميركي

واشنطن – يشهد نفوذ الولايات المتحدة تراجعا لافتا على المستوى الدولي سواء في مناطق الصراع كأوكرانيا أو في مناطق نفوذها التقليدي مثل الخليج، وحلت محل هذه التراجع دول ذات نفوذ متصاعد دوليا مثل الصين وروسيا وأخرى ذات نفوذ إقليمي مثل إيران.

ويقول محللون سياسيون إن هذا التراجع في جانب منه يعود إلى الاستراتيجية المعتمدة أميركيا والتي تريد أن تتخلى عن ترسيخ الردع مقابل التمكين للدبلوماسية، وهي استراتيجية شرّعت لتراجعات غير مفهومة لدى الحلفاء، من ذلك موقف واشنطن القائم على تقليص ظهورها الدفاعي في منطقة الخليج ونقل أسلحتها الدفاعية إلى جنوب شرقي آسيا، وهو ما يعني فتح الباب أمام إيران لملء الفراغ من جهة، ودفع دول الخليج إلى البحث عن حلفاء بشكل سريع فكان التوجه نحو الصين وروسيا. وبدلا من أن تعزز واشنطن نفوذها في ملعب جديد خسرت أحد أبرز مواقع نفوذها التقليدي.

> تآكل الردع الأميركي، يجعل دولا تفقد الثقة بها كقوة عالمية، ودفع ذلك بوتين لتقدير أن بوسعه غزو أوكرانيا دون دفع ثمن

وترى المحللة السياسية جوديث بيرجمان أن هناك تقلصا في الردع الأميركي منذ سنوات، والسبب في ذلك هو السياسات الفاشلة والمصالح القومية التي أسيء تحديدها، والتي من الواضح أنها كانت محط أنظار الجهات المنافسة والفاعلة مثل روسيا والصين وإيران. وقد أثبت الغزو الروسي لأوكرانيا أن الردع الأميركي في حال يرثى لها.

وتقول بيرجمان في تقرير نشره معهد جيتستون الأميركي إن روسيا والصين وإيران شاهدت في عام 2013 الرئيس الأسبق باراك أوباما وهو يظهر أن "خطا أحمر" أعلنته الولايات المتحدة في سوريا لم يكن شيئا يحمل أيّ معنى. ويقوم هذا الخط على وقف دعم المعارضة ماليا وتسليحيا، والتخلّي عن الضغوط على الرئيس السوري بشار الأسد، وهذا الانسحاب فسح المجال لدخول روسيا إلى الملعب السوري في 2015. كما كان مؤشرا رئيسيا أدى إلى تشظي المعارضات وارتهانها لأجندات إقليمية أخرى.

وفسح التراجع الأميركي أيضا الطريق أمام الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الرجل القوي الذي نجح في وضع بصمته على قضايا مختلفة، فقد استطاعت روسيا غزو جورجيا وضم شبه جزيرة القرم، بينما استطاعت الصين السيطرة على هونغ كونغ، فيما لم تبد الولايات المتحدة أيّ ردة فعل لإظهار رفضها لمسارات فرض الأمر الواقع بالقوة.

وشاهد العالم في أغسطس 2022، استعداد الرئيس الأميركي جو بايدن لتسليم أفغانستان لحركة طالبان، والتخلي عن دولة حليفة للولايات المتحدة وترك مواطنيها الذين تعاونوا بكل ولاء مع واشنطن طوال 20 عاما في فوضى قاتلة. وهذا الانسحاب يوفر فرصة نادرة لإعادة تجميع المتشددين في أفغانستان والانطلاق منها لتهديد مصالح الولايات المتحدة وأمنها القومي مثلما حصل في الحادي عشر من سبتمبر 2001.

وتوضح بيرجمان، وهي أحد كبار زملاء معهد جيتستون، أن هذا التآكل المستمر للردع الأميركي – والانطباع بأن كل ما تقدر عليه الولايات المتحدة هو الكلام وبدون عمل – جعل أنه لم يعد من الممكن الثقة بها كقوة عالمية، وهو الذي دفع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى تقدير أن بوسعه غزو أوكرانيا دون دفع ثمن باهظ.

وأكدت بيرجمان أن المهمة التي يتعين على الولايات المتحدة القيام بها هي منع بوتين وشي جين بينغ وعلي خامنئي وأمثالهم في العالم من أن يزدادوا جرأة ويحاولوا تحقيق أطماعهم الإقليمية في دول البلطيق، ودول شمال أوروبا وشرق أوروبا، وتايوان، وبحر الصين الجنوبي والشرق الأوسط.

وتحتاج الولايات المتحدة إلى إعادة ترسيخ الردع الضروري في وجه التهديدات العسكرية التي أصبحت أميركا – والغرب عموما – يعتقدون بنفس راضية أنه عفا عليها الزمن وغير ذات صلة، ومجرد مخلفات من الحرب الباردة.

وقالت بيرجمان أن هناك أمرين يتعين على الولايات المتحدة أساسا القيام بهما لردع الجهات الفاعلة السيئة وطمأنة الحلفاء بأنها قوة يمكن للمرء الاعتماد عليها وضرورة أخذها في الاعتبار وهما: التركيز على المصالح القومية الأميركية وإعادة الالتزام على نطاق واسع بالأمن القومي للولايات المتحدة وحلفائها. وفي الوقت الراهن، كما قال المؤرخ بيرنارد لويس "أميركا غير ضارة كعدو ولكن غادرة كصديق".

وأوضحت بيرجمان أن التهاون الذي بدأت إدارة بايدن تنظر به للتهديدات العسكرية، مثل غزو روسيا لأوكرانيا، باعتباره شيئا من الماضي، أدى إلى ترتيب خاطئ لأولويات القضايا مثل تغير المناخ باعتباره التهديد الأكبر الذي يواجه الولايات المتحدة. وهذا التركيز المضلل جاء على حساب تعريف حقيقي لماهية المصالح القومية الحيوية للولايات المتحدة وكان يجب أن يكون في وجه تهديدات الأمن القومي الفعلية.

ومنذ أكثر من عشرين عاما، في يوليو أصدرت لجنة المصالح القومية لأميركا، بالتعاون مع مركز بيلفر للعلوم والشؤون الدولية التابع لجامعة هارفارد، ومركز نيكسون، ومؤسسة راند تقريرا بعنوان "ما هي المصالح القومية لأميركا؟" (المعروف أيضا بتقرير بيلفر)، والذي أدرج المصالح القومية الأميركية باعتبارها "شروطا ضرورية تماما لضمان وتعزيز بقاء الأميركيين ورفاهيتهم في دولة حرة وآمنة".

وأدرج تقرير بيلفر خمسة مجالات، من بينهم أساسا منع وردع وخفض تهديد الهجمات على الولايات المتحدة أو قواتها العسكرية في الخارج، وضمان بقاء حلفاء الولايات المتحدة وتعاونهم النشط مع واشنطن في صياغة النظام الدولي الذي يمكن أن نزدهر فيه. وبعد أكثر من 20 عاما، وفي الوقت الذي تسعى فيه الصين وروسيا لتوسيع نطاق مجالات نفوذهما، ليس هناك التزام بشكل مناسب بهذين المصلحتين الأساسيتين من جانب الولايات المتحدة التي تنسحب من المناطق الحيوية والنفقات العسكرية الرادعة.

وتضيف بيرجمان أن إعادة بناء الردع سوف تتطلب إعادة التزام سياسي وعسكري واسع النطاق تجاه المصالح القومية الحيوية.

وتلك الأمور سوف تتطلب إعادة توجيه للسياسة يعترف بأن الولايات المتحدة هي قوة غربية أساسا في عالم يشهد تهديدات عسكرية عالمية من مجموعة من الجهات الفاعلة السيئة، من بينها بصفة أساسية الصين وروسيا وإيران وكوريا الشمالية.

ومن ثم فإن ضمان عالم يتمتع بنظام دولي يمكن أن تزدهر فيه الولايات المتحدة يتطلب قيام واشنطن بإعادة التواصل عالميا بدلا من اتباع سياسة يمكن وفقا لها الفصل بين التهديدات.

وتقول بيرجمان إن إدارة بايدن، أو أيّ أدارة تأتي بعدها ستحسن صنعا بأن تعترف بأن الصين تهدد العالم كله، وأنه لا يمكن احتواء بكين بمجرد تركيز الجهود في الشرق الأقصى. كما أن تهديد روسيا لأوكرانيا ليس منفصلا، ولكن يمكن أن يمتد ليشمل مولدوفا ودول البلطيق وفنلندا والسويد وغيرها من الدول.

وبالنسبة إلى تهديد إيران للشرق الأوسط – نوويا ومن خلال أذرعها – وسعيها للهيمنة، فإنه لا يمكن حسم ذلك من خلال المواءمة المعتادة وضبط النفس، وعلى العكس يتطلب ذلك ردعا قويا.

مسلسل على نتفليكس يحاول تضميد جراح الماضي ليهود تركيا

إسطنبول – حقق مسلسل على نتفليكس تدور أحداثه في أوساط اليهود في تركيا نجاحا غير متوقع في البلاد، متحدياً المحظورات ومستقطباً الجمهور للتعرف على مجتمع جرى تجاهله لفترة طويلة.

وتتزامن شهرة المسلسل مع عودة الدفء إلى العلاقة بين تركيا وإسرائيل وتراجع منسوب الشعارات المعادية لإسرائيل من جانب القيادة التركية.

ولقيت المسلسلات التلفزيونية التركية التي غالباً ما تروّج لقصص تحظى برضا حكومي، نجاحاً عالمياً جعل من البلاد قوة كبرى على الشاشات الصغيرة في العالم.

لكن مسلسل "ذي كلوب" الذي تدور أحداثه في خمسينات القرن الماضي هو الأول من نوعه، لأسباب ليس أقلها أن بعض الحوارات التي يتضمنها هي باللادينو، لغة يهود إسطنبول المستمدة من الإسبانية في العصور الوسطى.

وبعدما عاشت الأقليات في الماضي مراحل ازدهار في العاصمة متعددة الثقافات للإمبراطورية العثمانية، عانى يهود إسطنبول مذاك من الاضطهاد والتمييز.

تحدّ للمحظورات

وآثر اليهود التكتم حول هويتهم لحماية أنفسهم، متمسكين بالعادة اليهودية التركية المعروفة بـ"كاياديس" بلغة اللادينو، ومعناها "الصمت".

لكن مسلسل "ذي كلوب" الذي تدور أحداثه في ملهى ليلي في الجانب الأوروبي التاريخي لإسطنبول، يضع حداً لهذا الصمت.

يتطرق المسلسل إلى الهجمات والاضطهادات التي دفعت بالكثير من اليهود واليونانيين والأرمن إلى مغادرة تركيا في القرن العشرين، بما في ذلك ضريبة الثروة التي فرضتها السلطات التركية على غير المسلمين عام 1942 إضافة إلى أعمال الشغب ضد الأقلية اليونانية (ما عُرف بـ"بوغروم إسطنبول") عام 1955 والتي أطلقت العنان للعنف ضد جميع الأقليات الأخرى.

ويقول نيسي ألتاراس المحرر في مجلة "أفلاريموز" الإلكترونية التي يديرها شباب من اليهود الأتراك "الصمت لم يحمنا من معاداة السامية كما لم يمنع الهجرة إلى بلدان أخرى".

ويوضح لوكالة فرانس برس "نحن في حاجة إلى رفع الصوت، بما في ذلك في المسائل السياسية التي أرادت الأجيال السابقة تجنبها".

ولا يزال أقل من 15 ألف يهودي يعيشون في تركيا، بعدما كان عددهم 200 ألف في بداية القرن العشرين.

وغالبية هؤلاء هم من يهود السفارديم الذين فرّ أجدادهم إلى الإمبراطورية العثمانية بعد طردهم من إسبانيا عام 1492.

في حالة نادرة لتماهي الفن مع الواقع، أصبح "ذي كلوب" أكثر المسلسلات مشاهدة على نتفليكس في تركيا تزامناً مع محاولات أنقرة إصلاح العلاقات مع تل أبيب.

وبعدما كان البلدان متقاربين تاريخياً، توترت العلاقات بينهما بسبب معاملة إسرائيل للفلسطينيين وتصريحات للرئيس التركي رجب طيب أردوغان وُصفت بأنها معادية للسامية.

وقد نشرت الصحف التركية الموالية للحكومة في السنوات الأخيرة مقالات ومواضيع وُصفت من الجهات الداعمة لإسرائيل بأنها معادية للسامية.

لكن الرئيس الإسرائيلي إسحق هرتسوغ قام بزيارة تاريخية إلى تركيا في وقت سابق من هذا الشهر، أجرى خلالها محادثات مع نظيره رجب طيب أردوغان. حتى أن هرتسوغ زار الحي الذي صُور فيه مسلسل "ذي كلوب" في إسطنبول.

وأثار المسلسل، لاسيما مشاهد أعمال الشغب في شارع استقلال في إسطنبول في سبتمبر 1955 عندما استهدفت مجموعات عنفية أفراد الأقليات ونهبت متاجرهم، جدلا حادا في وسائل الإعلام التركية وعلى الإنترنت حول الحاجة إلى مواجهة التاريخ.

ويقول رئيس المتحف اليهودي في تركيا سيلفيو أوفاديا "لم يعرض أيّ برنامج تلفزيوني آخر الأحداث المعادية للسامية في هذه الفترة بهذه الطريقة اللافتة".

ويوضح ألتاراس "هذا الجزء من التاريخ لا يُدرَّس في المدارس في تركيا، لذا فإن الكثير من الأتراك تعرّفوا على هذه الحقبة بفضل المسلسل".

> في حالة لتماهي الفن مع الواقع، أصبح «ذي كلوب» أكثر المسلسلات مشاهدة في تركيا تزامناً مع تقاربها مع إسرائيل

وتشير بينار كيلاووز الباحثة في شؤون اليهود السفارديم في جامعة باريس – سوربون إلى أن "المسلسل يدعونا لأن نشكك في الرواية الرسمية ونسأل أنفسنا: ماذا حدث ليهود تركيا؟".

ويرى ألتاراس أن المسلسل أثّر على السياسة التركية المحلية.

ويقول ليس من قبيل المصادفة أن يكون زعيم حزب المعارضة الرئيسي أدخل للتو السعي لـ"تضميد جراح الماضي" في حملته، في إشارة إلى الهجمات على الأقليات.

ويرى عزت بنا، وهو موسيقي قدّم خدمات استشارية للمسلسل، أن "ذي كلوب" حقق "معجزة" بإعادة إنشاء الحي اليهودي الذي عرفه في طفولته.

ويقول بنا "كنت قلقا في البداية لأن مسلسلات أخرى قدّمت صورة كاريكاتورية عن اليهود. لكن المسلسل يعكس شخصيات حقيقية، بعيداً عن الكليشيهات".

غير أن كيلاووز تؤكد أنه رغم التقدم على الشاشة الصغيرة، لا يزال يتعين القيام بالمزيد من أجل أن يشعر يهود تركيا بالمساواة.

وتقول "هناك معتقد شائع بشأن ترحيب الإمبراطورية العثمانية باليهود الذين طُردوا من إسبانيا في القرن الخامس عشر". وتضيف "هذا الأمر يُستخدم لوصم أيّ شخص يطلب المساواة في الحقوق بأنه جاحد".

ورغم أن القانون ينص على التساوي بين الجميع في تركيا، فإن الأقليات غير المسلمة تواجه في الواقع عقبات كبيرة، من الحصول على وظائف حكومية إلى فتح أو إصلاح الكنائس أو المعابد اليهودية.

ومن النادر أيضا وجود شخصية بارزة من الأقليات في الحكومة أو في مؤسسات الدولة حيث لا تزال الهيمنة للمسلمين الأتراك السنة.

ويرى ألتاراس أن المسلسل الذي من المقرر أن يعود بموسم ثالث، يُظهر للمجتمع التركي أن اليهود جزء من "قصة هذا البلد". ويقول "كنا نعرف ذلك أصلا، لكن من الجيّد أن يدرك الأتراك ذلك أيضا".

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

أمين عام الناتو صديق العدوّ والضمانة التي لا تحمي أوروبا

يانس شتولتنبرغ

هل انتهى زمن لعب الشطرنج مع الدب الروسي؟

● شتولتنبرغ والناتو مطالبان بالإصغاء جيدا إلى نصائح الخبراء الذين ناشدوا الحلف التفكير بمعركة «راقية» مع روسيا

● قوة الناتو مكبّلة بالعديد من القيود، وهناك من لا يُسمح لهم بزيادة التسلّح، لكن أزمة أوكرانيا حطّمت القواعد

إبراهيم الجبين
كاتب سوري

حين كتبنا في "العرب" عن ينس شتولتنبرغ في أبريل عام 2014 كان مفتاح تناولنا لشخصية أمين عام حلف الناتو يستند إلى ما اخترنا له تعبير "التفاوض مع الدببة"، ومنذ ذلك التاريخ وحتى هذه اللحظة، خاض الرجل مع حلف شمال الأطلسي مغامرة لم تكن في حسبانه، فمن كان يتوقع أن هذه المؤسسة التي شاخت حتى طالب الرئيس الأميركي دونالد ترامب أكبر أعضاء الناتو بانسحاب الولايات المتحدة منها، ستجد نفسها بمواجهة حرب روسية عنيفة لاحتلال بلد أوروبي على حدود الناتو؟

كانت مصالح الناتو حينها تدار عبر الاقتصاد، لإرساء سياسة تبريد الجبهات، وقد توقعنا أن تكون مرحلة شتولتنبرغ التي أريد لها أن تكون مرحلة تفاوض ودبلوماسية، مرحلة تصعيد من الروس، الذين يجدون الفرصة سانحة في ظل غياب الفلسفة العالمية التي تفرض نفوذ الأمم، واستبدالها بالقوة الناعمة.

الناتو بما يمثله ككيان يعدّ الأضخم في التاريخ، عسكريا وسياسيا، كان يمرّ بمنعطفات حادة، أوروبا تعاني من ملفات حارة هبّت رياحها عليها، ليس أولها الاقتصاد، وليس آخرها وباء كورونا الذي قلب الموازين، ولم يكن ينقصه سوى اختبار القوة الذي وضعه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين فيه.

ضد الناتو

وبعد أن كان منصب أمين عام حلف الناتو أشبه باستراحة ومكافأة نهاية خدمة للسياسيين المتقاعدين، أضحى اليوم وفي عهد شتولتبنرغ مأزقا حقيقيا لا يحسده أحد عليه. جاء الرجل من بلاده الباردة، النرويج، بعد أن كان رئيسا لوزرائها. استقال من منصبه عام 2013 لينتقل إلى مهمة ستكون أصعب ما يمكن أن يواجهه رجل الاقتصاد ورئيس حزب العمل ووزير المالية الأسبق. سياسي كان لا يزال يعيش في عصر أوروبي منعّم، حين قرّر حصد أصوات الناخبين بالعمل، متنكرا، كسائق لسيارة أجرة لمدة يوم واحد، لكي يكون قريبا من المواطنين كما قال. حينها ردّد شتولتنبرغ كلمات سيحاسبه عليها الأوروبيون اليوم "أردتُ من وراء ذلك معرفة مخاوف الناخبين الحقيقية". فهل اقتصرت مخاوف الأوروبيين على ما فكّرت به نخبتهم السياسية؟ وهل كان يمكن لأحد أن يفكّر يوما بأن حرب غاز جديدة ستندلع بعد أن يقرّر بوتين تدمير رقعة الشطرنج التي يلاعبه عليها الساسة الأوروبيون؟

وكي تكتمل المفارقات، فإن شتولتنبرغ الذي كان معارضا شرسا لحلف الناتو، والذي خرج في مظاهرات مناوئة له ورشق السفارة الأميركية بالحجارة رفضا لهيمنتها ولقصفها لهايبونغ مطلع السبعينات، سيجد نفسه على رأس هذه المؤسسة بالذات، ليدرك بنفسه أهميتها وضرورة إنعاشها.

لا يُعرف لماذا اختاره الناتو لرئاسته، إلا أن هذا الاختيار يكشف وبوضوح انفصال الحلف عن الواقع، وهو يعيّن سياسيا معارضا لمبادئ الحلف واستراتيجياته كلها، وللمفارقة أيضا كانت أوكرانيا وضم شبه جزيرة القرم جزءا من القصة آنذاك، استغلها شتولتنبرغ ببراغماتيته المعهودة ليقول "إن الأحداث الأخيرة في أوكرانيا أظهرت أهمية الناتو". مضيفا "إن الناتو كان دوما صمام الأمان للدول الأعضاء على مدى عقود". فأي صمّام أمان شكّله الناتو من وقتها وحتى اليوم؟

شتولتنبرغ الذي يبدو خليطا من القوة والسياسة بحكم كونه ابنا لوزير دفاع أسبق من جهة، ومن جهة ثانية كانت والدته وزيرة للخارجية، ومع ذلك هو في مأزق اليوم. ليس بسبب كل ما سلف، بل لأنه واحد من بين أكثر السياسيين الأوروبيين قربا من روسيا، العدو القديم الجديد. فالخبرة التي اكتسبها لم تكن في المجال العسكري كما يوحي منصبه، إنما في الحالة المعاكسة تماما، فهو الذي طرح نظرية للتفاوض في العلاقات الدولية، وفي ما يتعلق بروسيا كتبت عنه جريدة "افتينسوبستن" النرويجية إن "خبرة شتولتنبرغ والنرويج بصفتها جارة لروسيا ستكون بالتأكيد مفيدة في الملف الروسي". لكن طبيعة العلاقة التي يجب أن يقيمها الغرب مع روسيا تتقرّر في أماكن أخرى خارج هيئات حلف الأطلسي. وكتبت الصحافة الأوروبية حينها إن "طريقة تعيين شتولتنبرغ توحي بأن الناتو متجّه نحو التفاوض لا نحو التصعيد".

قبل أسابيع من ساعة الصفر التي قرّرها بوتين لغزو أوكرانيا، كان شتولتنبرغ يعقد اجتماعا حساسا استمر أربع ساعات متواصلة في مقر الحلف مع مساعد وزير الخارجية الروسي ألكسندر غروشكو. وحينها قال أمين عام الناتو أن هناك خلافات مع روسيا حول أوكرانيا وشرق أوروبا، وأضاف إنه سيكون من المستحيل لأعضاء الحلف، البالغ عددهم 30، الموافقة على "المطالب الجوهرية لموسكو المتعلقة بنظام أمن جديد في أوروبا" وهنا مكسر العصا.

موت دماغي

روسيا تريد تغيير النظام العالمي انطلاقا من تغيير أمن أوروبا التي يعتقد الروس أنها في توقيت متأخر عن توقيت موسكو. الناتو كان يريد ضم أوكرانيا إليه، كخطوة رخوة تشبه بقية خطوات الحلف، لكن روسيا لا تراها كذلك، بل تعتبرها غلطة الشاطر في علاقاتها الحساسة مع الغرب. ولم ينفع شتولتنبرغ قوله وقتها إن أوكرانيا دولة ذات سيادة، ولها حق الدفاع عن نفسها، وأنها لا تمثل تهديدا لروسيا. ولا تصعيده اللفظي الذي لا يقيم له بوتين وزنا. أما مبعوثه إلى ذلك الاجتماع، غروشكو، فقد كان واضحا أكثر مما ينبغي ومع ذلك لم يفهم الناتو ولا أمينه العام الرسالة. ألم يكن كافيا تصريحه الذي قال فيه إن استمرار تدهور الوضع قد يؤدي إلى "العواقب الأكثر خطورة على الأمن الأوروبي والتي لا يمكن توقعها؟".

سبعة عقود مرت على تأسيس الناتو، منذ العام 1949 بغرض ضمان الأمن الجماعي لأعضائه وفق خارطة ذلك الزمن التي كانت تتحسّب لمواجهة بين فكرين متناقضين، شيوعي ورأسمالي، وبين قطبين أعظمين، أميركا والاتحاد السوفييتي.

وقد تكفّل الآخرون، طيلة الحرب الباردة، بالقيام بمهام الناتو كاملة، فلم يحرّك جنديا واحدا قبل وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي ومعه الكتلة الشيوعية الشرقية. ولم يتحرّك الناتو قبل ذلك، والروس يعرفون هذا جيدا ويدركون معانيه. فقد كان تحرّكه الأول حين أرسل قواته إلى البلقان في التسعينات، ثم في أفغانستان وبرنامج الحرب المفتوحة على الإرهاب. وحين توسّع الناتو باتت حدوده متاخمة لحدود روسيا على امتداد 1600 كيلومتر. لكن ومع ذلك، فقد بدت قاعدة 2 في المئة من الناتج المحلي التي فرضها أعضاء الحلف على أنفسهم لتصرف على الدفاع، أكثر هشاشة في ظل غياب التهديد، وزوال الخطر الأحمر القادم من الشرق.

سمع شتولتنبرغ هذه الكلمات التي قالت إن "الناتو يعاني من موت دماغي" بعدم اكتراث، وقائل هذه العبارة لم يكن بوتين، إنما كان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون نفسه، الذي زاد أن الحلف يحتاج من أعضائه التوقف عن الحديث حول التمويل طوال الوقت، وبذل الكثير من الجهد للتعامل مع المشكلات الاستراتيجية العميقة التي يعاني منها الحلف.

أعضاء الناتو تفرّقهم السياسة ولا تجمعهم القوة العسكرية، ففرنسا ماكرون كانت تقضي الوقت بالجدل مع تركيا حول سوريا ودورها في ذلك البلد، معتبرة أن حملات تركيا العسكرية عبر الحدود السورية لم تكن بالتشاور مع الناتو. في الوقت الذي تعتبر فيه تركيا نفسها في حالة حرب مع تنظيم حزب العمال الكردستاني الذي يصنفه الناتو إرهابيا وتدعمه أكبر دولة في الحلف، ما دفع بها نحو التقارب مع روسيا، وشراء منظومة الدفاع الجوي "أس- 400" منها، احتجاجا على عدم التناغم، من قبل أميركا وفرنسا، حول ذلك الملف الذي تعتبره تركيا تهديدا لأمنها القومي وللناتو ذاته.

> أمين عام الناتو وبينما يخوض نقاشاته حول احتواء الأوضاع المتفاقمة وحلحلة ملفات الحلف المتشابكة، تكاد روسيا تبتلع أوكرانيا، وتنتهي من تطوير منظومة «أس - 500» الجديدة القادرة على إسقاط مقاتلات «أف - 35»

لم تكن تركيا وحدها هي المشكلة في جدالات الناتو، بل ما اعتبره كثير من أعضائه تفرّدا في القرار من الولايات المتحدة أيضا حول قضايا مختلفة، علاوة على ما وصفوه بـ"التهديد الروسي غير المشخص جيدا". ولا أحد يعرف سرّ تقاعس أجهزة الناتو ودوله المتقدّمة عن تشخيص ذلك التهديد بشكل جيد ليجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام طائرات بوتين ودباباته. أما الأوروبيون فلم يعودوا يحسبون حسابا لميزانيات الناتو مثلما كانوا يفعلون في الماضي، فالحلف لا يحتكم اليوم إلا على قرابة العشرين ألف جندي، بينما كان قوام قواته يتجاوز 130 ألف مقاتل. أما مراكز القيادة التابعة له فكانت تتوزع على 33 مركزا، لتتقلّص إلى سبعة مراكز قيادة.

ولعلّ انشغال أوروبا باقتصاداتها الداخلية جعلها تنظر إلى الناتو كعبء أكثر منه حائط صدّ، وكمثال على ذلك تقدّر الوول ستريت جورنال أن تكلفة المنشأة العسكرية الواحدة للناتو تصل إلى 260 مليون دولار، وهو رقم قد لا يجد القادة الأوروبيون الشجاعة الكافية للمطالبة به في بلدانهم، في ظل تصاعد المطالب الخدمية ومشكلات اللاجئين والبطالة والطاقة وغيرها.

لا قوة بلا جيش موحّد

قوة الناتو ما تزال مكبّلة بإرث الحرب العالمية الثانية، وهناك من لا يسمح لهم الحلف بزيادة تسلحهم، كما في حالة ألمانيا، التي كسرت الحرب الروسية على أوكرانيا ذلك القيد الذي كان مفروضا عليها، وهي آخذة في تعزيز قدراتها العسكرية باضطراد. وكانت سابقا قد اقترحت إنشاء جيش أوروبي موحد كبديل لهيكل الناتو التقليدي. اقتراح أيدته فرنسا وتحفظت عليه الولايات المتحدة، فخروج جيش كهذا سيغيّر التوازنات. إضافة إلى ما وصف بـ"التكامل والاندماج" بين الوحدات العسكرية الأوروبية وأنظمة تسليحها، ما من شأنه أن ينتج جيشا ليس بمستوى التهديدات.

وقد نادى العديد من أعضاء الناتو باستقلال عسكري عن أميركا، على الأقل كي لا يكون الاعتماد عليها كليا، ما فهم منه المحللون الاستراتيجيون أزمة ثقة متبادلة، وزادوا بأن ما كشف عن ذلك هو سياسات واشنطن في عهد ترامب التي وضعت مصالح الولايات المتحدة فوق مصالح الشركاء في الناتو.

وبينما يخوض أمين عام الناتو نقاشاته عن احتواء الأزمة وجنس الملائكة تكاد روسيا تبتلع أوكرانيا، وتنتهي من تطوير منظومة "أس-500" الجديدة التي جرّبتها في سوريا، وقلق الناتو من هذه المنظومة متأت من كونها قادرة على إسقاط مقاتلات "أف- 35".

أخيرا فإن على شتولتنبرغ والناتو الإصغاء جيدا إلى نصائح الخبراء الذين عكفوا على دراسة مشكلات الناتو أكثر من أولئك الذين سوقوا الأوهام حوله، ومن بين تلك النصائح وأكثرها أهمية مناشداتهم الحلف بالتفكير بمعركة "راقية" مع روسيا، لا أقل من ذلك.

الحرب في إطار المعنى

ليديا تشاكريان

رسامة البلاد التي نجا منها الإنسان

فاروق يوسف
كاتب عراقي

تنتهي الحرب وتبقى آثارها ماثلة في المشاهد البصرية، غير أن الأكثر إيلاما ما يبقى راسخا في أعماق النفس البشرية. ليديا تشاكريان من جيل الحرب الأهلية اللبنانية. غير أن ما يجب التوقف عنده أن ليديا تنتمي إلى عائلة نجت من مذبحة كان الأرمن مادتها.

تشتبك الذاكرة بالواقع. الماضي بالحاضر. ماضي عائلتها وحاضرها الشخصي. ما بينهما خيط أسود سيكون حاضرا من خلال خطوطها التي تحرص على ألا تخفيها بالمساحات اللونية. الخط بالنسبة إلى الفنانة لا يفصل بين مساحتين بل هو امتداد للجرح الإنساني. إنه وسيلة للاتصال بين صرختين. هناك وهنا. تفكر ذاكرتها مثلما تفكر عيناها في الحرب. تلك المعصية التي لا يملك الإنسان وسيلة للتخلص منها أو نسيانها.

تشاكريان توظف كل طاقة الرسم التعبيرية من أجل إحياء قدرة الإنسان على المقاومة في اتجاهات مختلفة وفي مقدمتها الألم والرعب

تسمي الأسلوب الذي ترسم من خلاله التعبيرية الجديدة. تلك تسمية اعتباطية، غير أنها لا تخون المعنى. ترسم بأسلوب تعبيري حقا. إنها تقول أشياء كثيرة من خلال موضوعها وهو الإنسان. لا تريد أن يحشرها الرسم في جمالياته. إنها ترغب في أن تقول أشياء تتعلق بالوجود الإنساني. وهو بالنسبة إلى تجربتها وجود مهدد.

وصف لحظة الهلع

مذبحة الأرمن تقيم في ذاكرتها فيما يغص حاضرها بوقائع الحرب الأهلية اللبنانية. الحرب دائما هي الحدث الوحيد الذي ينتظرنا. هل كان وصف لحظة الهلع هو قدر الرسم؟ ترسم كائناتها في انتظار لحظة التحول. ولكنه تحول يُغرق الكائنات البشرية بقلقه. لقد هاجر أهلها من أرمينيا إلى لبنان وها هي تهرب من لبنان إلى الولايات المتحدة كما لو أنها لم تعثر على خلاصها المنتظر.

ولدت تشاكريان في بيروت عام 1959 من عائلة أرمنية مهاجرة. حصلت على شهادة الماجستير من جامعة ألبا «الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة» عام 1988. بعدها انتقلت إلى تدريس مادة التصميم الداخلي والهندسة المعمارية. أقامت أول معارضها عام 1992 في باريس ومن يومها وهي تقيم معارضها الشخصية حتى بلغ عددها أكثر من خمسين معرضا توزعت بين لبنان والولايات المتحدة والصين. قامت بالتدريس في كلية التقنية الوطنية الأرمنية حتى عام 2002. حينها انتقلت إلى الولايات المتحدة. نشرت رسومها في عدد من المجلات اللبنانية والأرمنية باعتبارها ناشطة في المجال الإنساني من غير أن تكون بعيدة عن الشرط الوجودي.

ظهرت سيرتها الذاتية في موسوعة النساء الأرمنيات البارزات التي حررتها زوري بالايان وتم إصدارها برعاية الرئيس الأرمني سيرج سركسيان. وبالرغم من أنها كانت حريصة على توثيق الصلة الثقافية بجذورها العائلية فإنها كانت شديدة الحرص على استلهام حقائق حياتها اللبنانية على خلفية حرب أهلية طحنت اللبنانيين بغض النظر عن أصولهم العرقية.

لقد عاشت تشاكريان تلك الحرب بكل فصولها علما بأن دافعها لم يكن الانحياز إلى فريق محارب دون الآخرين. فليس الطرف المسيحي على الأقل هو الحائط الذي أسندت ظهرها إليه.

هي ابنة الرسم الذي شعرت أن جوهره وهو الإنسان صار في خطر بسبب الحرب. وهو خطر وجودي. ذلك ما جعلها توظف كل طاقة الرسم التعبيرية من أجل إحياء قدرة الإنسان على المقاومة في اتجاهات مختلفة وفي مقدمتها الألم والرعب. عبرت الفنانة في رسومها عن رغبتها في حماية الإنسان والرسم معا. فرسمت الإنسان من الداخل لتختبر قدرة الرسم على أن يذهب عميقا متخليا عن الوصف الخارجي. لقد كانت رسومها في ذلك الجانب أشبه بصور مختبرية كان الغرض منها التعرف على مواقع الألم.

سائحة في مواقع تتغير باستمرار كونها ترتبط بالوضع البشري الذي يعد الإنسان صورته غير الثابتة. هي صاحبة ذلك المزاج الذي يمزج الخطأ بالصواب.

قوة الأسود والأبيض

بالأسود والأبيض رسمت في مرحلة ما موضوعها وهو الإنسان. ليس لأنها تراه هكذا، مجردا من الألوان المستلهمة من الطبيعة التي تحيط به وتتخلله وتخترقه وتعلمه الأحلام، بل لأنه من وجهة نظرها صار مادة للصراع الأبدي بين الشر والخير. الأسود والأبيض هنا رمزان للحالة التي انتهى إليها العالم والرسامة تضع الإنسان هنا في منزلة العالم مصغرا وهو رهين تجاربه المريرة.

لا تريد تشاكريان أن تجعل من لوحتها مرآة للعالم المتشظي من حولنا. إنها تختصر العالم في صورته الصغرى، الإنسان. ذلك الكائن المعذب، حامل غربته مثل صليب ولا يملك من مصيره شيئا. هل انتهى الإنسان إلى تلك الصورة المشوهة بعد أن ارتضى لنفسه أن تكون ضحية لحاملي السلاح الأوغاد أم أنه فشل في الارتقاء بنفسه عن المستوى الذي يقف به بين قوتين قاهرتين لا تسمى إحداهما خيرا إلا على سبيل المجاز؟

الرسم بالأسود والأبيض هو تقنية تقوم على تحدي قوة الرسم من الداخل وفي الوقت نفسه فإنها تستحضر طاقة الإنسان حين يكون عاريا، بعيدا عن أسلحته التزيينية. الرسم كما لو لم نره والإنسان كما لم نره. قوتان تتحركان من الداخل إلى الخارج بمعان غير متوقعة. معنى التخطيط الذي يحل محل اللوحة ومعنى الإنسان الفرد الذي يحل محل الإنسان الاجتماعي.

وقد يتم تفسير تلك التقنية على أساس كونها تعبر عن الأنا والأنت وهما يصارعان اليأس وهو يجتاحهما باعتباره القوة الوحيدة المؤهلة للوصول إلى أهدافها بعد أن استسلمت كل القوى الأخرى لعجزها. أنت وأنا الهاربان من جحيمهما العام إلى جحيم أشد قسوة لكي ينتهيا إلى أن يكونا عاملين في تقنية استسلام.

هزيمة الإنسان والرسم معا

عاشت سنوات الحرب بكل حواسها. غير أنها لم تلجأ إلى توثيق ذكرياتها. مرت الحرب وبقي الإنسان. هل بقي الإنسان حقا؟ ذلك هو السؤال الذي تناقشه ليديا في رسومها من غير جدوى. لم تعد جملة مثل «لقد نجونا» مقنعة. مَن نجا هو إنسان آخر صارت حين ترسمه تشعر أنها تقف أمام مشروع خراب كوني. ذلك يعني أن الحرب لم تمر.

ترسم الحرب بطريقة مقنعة. تطارد الحرب كائناتها بكوابيسها. بل إنها تنخرها. تنخر تلك الكائنات الضعيفة التي لم تعد تقوى على الوقوف لتُرسم. صارت موضوعا للرسم ولكن ليديا تسعى للنهوض بتلك الكائنات لا لكي ترسمها بل لكي تبعث فيها الحياة بقوة الرسم. ذلك ما يعبر عن ثقتها وإيمانها بالرسم.

تلك فنانة تؤمن بالإنسان والرسم معا. وما لم ينهض الاثنان معا فإن سقوطهما واقع لا محالة. ستترك رسوم ليديا تشاكريان صورة عن الإنسان في لحظة هزيمته. كما أن الإنسان الذي تصوره تلك الرسوم سيكون دليلا على هزيمة الرسم. تلك هي الحقيقة التي لا يُظهرها الواقع ويخشى الاعتراف بها. ذلك لأنها تعبر عن هزيمته. كانت ليديا محقة حين سمت الأسلوب الذي ترسم من خلاله بـ«التعبيرية الجديدة».

تشاكريان رسامة معنى. هل هي كذلك حقا؟ لا يمكننا الجزم بذلك بيقين كامل. ذلك لأن الرسامة في بعض تجاربها كانت تحاول أن تخفف من ضغط المعنى لتبدو اللوحة مخلصة لكفاءة عناصرها. إنها ترسم من أجل أن يأخذ الإنسان حيزه التعبيري لا من خلال ألمه بل ليتماهى مع وجوده الكامل وإن كان ذلك الوجود متخيلا.

لا يكتمل النظر إلى تجربة هذه الفنانة إلا من خلال النظر إلى المشهد الذي صنعته كاملا. ذلك المشهد الذي يمثل الإنسان في أقصى مراحل عذابه وفي الوقت نفسه في أقصى مراحل مقاومته. ذلك ما يمثله الرسم بالأبيض والأسود مضافا إليه الرسم بالألوان. تجربة تخترقها الحرب لكن بمستويات مختلفة. وهو ما يضفي على الرسامة هالة الكفاح المزدوج الذي ينتقل من وصف الألم إلى مقاومته.

قد يكون المعنى الذي تلاحقه الرسامة تجريديا غير أن أدواتها وموادها تقربه من الواقع الذي لا يتخلى عن خياله.

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

الصدق والمصداقية والحقيقة ثلاثة معايير ضد قهر الذوات أو السيطرة عليها

حسام الدين فياض
باحث وأكاديمي سوري

تشكل الكلمة أداة هامة من أدوات إيصال المعنى، فهي أصغر وحدة من وحداته، ومنها تتكون الوحدات الأخرى، كالعبارة والجملة. وفوق هذا تتمتع بقوة سحرية خارقة، تؤثر في نفوسنا وتعدل من سلوكنا وتوجه أفكارنا نحو معان بعينها بهدف تحقيق مصالح وغايات معينة. وكل ذلك بسبب ما ارتبطت به من صبغة دينية، وما اكتسبته من منزلة اجتماعية تقليدية، أو بسبب مهارات لغوية فائقة توظّف في خدمة فنون الخطابة والكلام.

هابرماس يعتمد على البعد التواصلي اللغوي والتفاهم العقلاني الهادف إلى تحقق الأطراف المشاركة بالعملية التواصلية من حيث الاتفاق والإجماع

لذا نجد أن خلفية النظام اللغوي لأيّ لغة ليست مجرد وسيلة لإعادة إنتاج الأفكار، ولكن الصحيح أنه هو الذي يشكل الأفكار والبرنامج الموجه لنشاط الفرد الذهني لكل ما يتعلق بتحليل الانطباعات وطرح التصورات والأفكار اليومية، وإن صياغة وبناء الأفكار العقلانية لا تعتبر إجراءات مستقلة، بل هي جزء من النظام اللغوي.

وإنّ أحسن طريقة للوقوف على كيفية أداء اللغة لوظيفتها إنما تكون وقت الكلام الفعلي في موقف لغوي بسيط. أما اللغة فهي عبارة عن نظام من الرموز التي يستدعيها حدوث الكلام الفعلي ويشترك في هذه العملية كلّ من المتكلم والسامع. فالأول يشترك فيها بطريقة إيجابية بوصفه بادئا، والثاني بطريقة سلبية بوصفه مستقبلا. واللغة بفضل تمايز رموزها وتركيباتها الصرفية والصوتية فإن الثقافة السائدة لأيّ مجتمع هي انعكاس مباشر للخصائص التي تتمتع وتتميز بها اللغة في ذلك المحيط الاجتماعي.

وفي هذا الاتجاه نجد أن اللغة تلعب دورا خاصا إذا تم استخدامها بشكل سلبي من خلال اللعب على المفاهيم والمصطلحات لتزييف الحقائق، أو في توجيه دفة الحوار لصالح الأقوى، أو ذلك الذي يغلب فيه "النسق الفحولي"، وفي ذات الوقت تستبعد الطرف الآخر، أو على أقل تقدير تعمل على تطويعه ليقبل بشروط ميزان القوى الذي تفرضه آلية الصراع من أجل البقاء والسيطرة.

فعلى سبيل المثال، نجد تأثير اللغة النخبوية في تحييد قدرات الآخر وإقصائه من خلال المثال التالي "حينما يكون اجتماع لأعضاء مؤسسة تجارية مؤلفا من نساء ورجال، فإن الملاحظ أن الرجال في الغالب يستخدمون تشبيهات رياضية تشرح نجاحاتهم أو إخفاقاتهم، مثال ذلك هذه حدود مربعنا والكرة في ملعبنا، واستمرت المفاوضات إلى الوقت الإضافي ولكن الهدف الأخير أعاد للفريق الأمل في المنافسة على اللقب".

هذه التشبيهات في حقيقة الأمر تتعلق باللعب وبطريقة الأداء التي تجهلها النساء لأن الغالبية منهن لا يمارسن تلك الرياضات، وبالتالي فإن اللغة هنا قد عملت على تهميش وإلغاء دور النساء المشاركات في الاجتماع في إبداء الرأي، وبالتالي تطبيع المرأة على الخضوع والاستسلام للقرارات التي يتخذونها، ولذا فإن استخدام هذه التشبيهات هو بطريقة أو بأخرى محاولة لإبعاد المرأة من الدخول في الحوار.

وينطبق ذلك أيضا على الحوارات التي تتمركز حول القضايا العقدية الأحادية، حيث تستخدم اللغة في صياغة نظريات وافتراضات يتم تطويعها وربطها مع المقدس لكي تمنح الحصانة الشرعية للمستفيدين، وفي الوقت ذاته تسمح لهم بتوجيه دفة الحوار أو تقييده من خلال فرض تصوراتهم وآرائهم وحتى نزواتهم على المتحاورين، مما يمهد لهم الطريق بالاستحواذ على صنع وصياغة القرارات التي تكفل لهم الهيمنة وفرض الرأي الواحد، وفي ذات الوقت إلغاء الآخر وتحجيم قدراته في التواصل وإبداء رأيه، فمن شأن هذا الإلغاء، إن جاز لنا التعبير، أن يخفي لدى الأشخاص القدرة الإبداعية أو الفكرية.

ولتجنب السيطرة والخداع في مثل هذه المواقف يرى يورغن هابرماس (1929) الفيلسوف والمنظّر السوسيولوجي الألماني المعاصر من خلال نظريته حول الفعل التواصلي (Theory of Communicative Action) المرتكزة على العقلانية التواصلية، التي تمارسها ذات قادرة على الكلام والفعل بهدف التوجّه نحو التفاهم بين الذوات، تؤدي حكما إلى عدم اللجوء إلى العنف أو إلى إلغاء الآخر والسيطرة عليه، وذلك بفضل قدرة الفعل التواصلي الذي يحدد العلاقات داخل مجالات عمومية قائمة على المناقشة والحوار متخذة من المبادئ الأخلاقية أساسا لها، أطلق عليها هابرماس أخلاقيات المناقشة، التي تحكم العملية التواصلية حسب معايير متفق عليها.

ولكن تلك الأخلاقيات ليست مذهبا ولا نسقا من القيم والمعايير الجامدة أو الثابتة، والدليل على ذلك، في أنه إذا تشكك أحد المشاركين في العملية التواصلية في الدقة المعيارية لتعبير ما، أو إذا تعرضت أحد ادّعاءات الصلاحية للشك، أو لم يستطع المشاركون في التواصل تبريرها أو الدفاع عنها بالحجج العقلانية، فإن ادعاءات الصلاحية نفسها تصبح موضع سؤال، مما يؤدي إلى اختلال التواصل أو التوقف، وفي هذه الحالة لا بد للمشاركين في التواصل إعادة فحص تلك الادعاءات من جديد ومراجعتها مراجعة نقدية لتصحيح أخطائها، ومعنى ذلك أن العملية التواصلية تخضع لما يسمى بديمقراطية الحوار.

وهكذا نجد أن هابرماس يعتمد على البعد التواصلي اللغوي والتفاهم العقلاني الهادف، الذي يؤدي بالأطراف المشاركة بالعملية التواصلية إلى محاولة تحقيق نوع من الاتفاق والإجماع المتبادل حول القضايا المطروحة للحوار، وفقا لشروط وقواعد أخلاقية (الصدق، والمصداقية، والحقيقة) تنفي قهر الذوات أو السيطرة عليها أو خداعها مما يتيح لهم الفرص بالتساوي للمشاركة في الحوار والنقاش وصنع القرار، كما أن الإجماع لن يتم الوصول إليه إلا عن طريق قوة الأطروحة الأفضل. وهذا يعني أن اللغة أداة للتواصل والتفاهم الإنساني وليست للسيطرة والخداع.

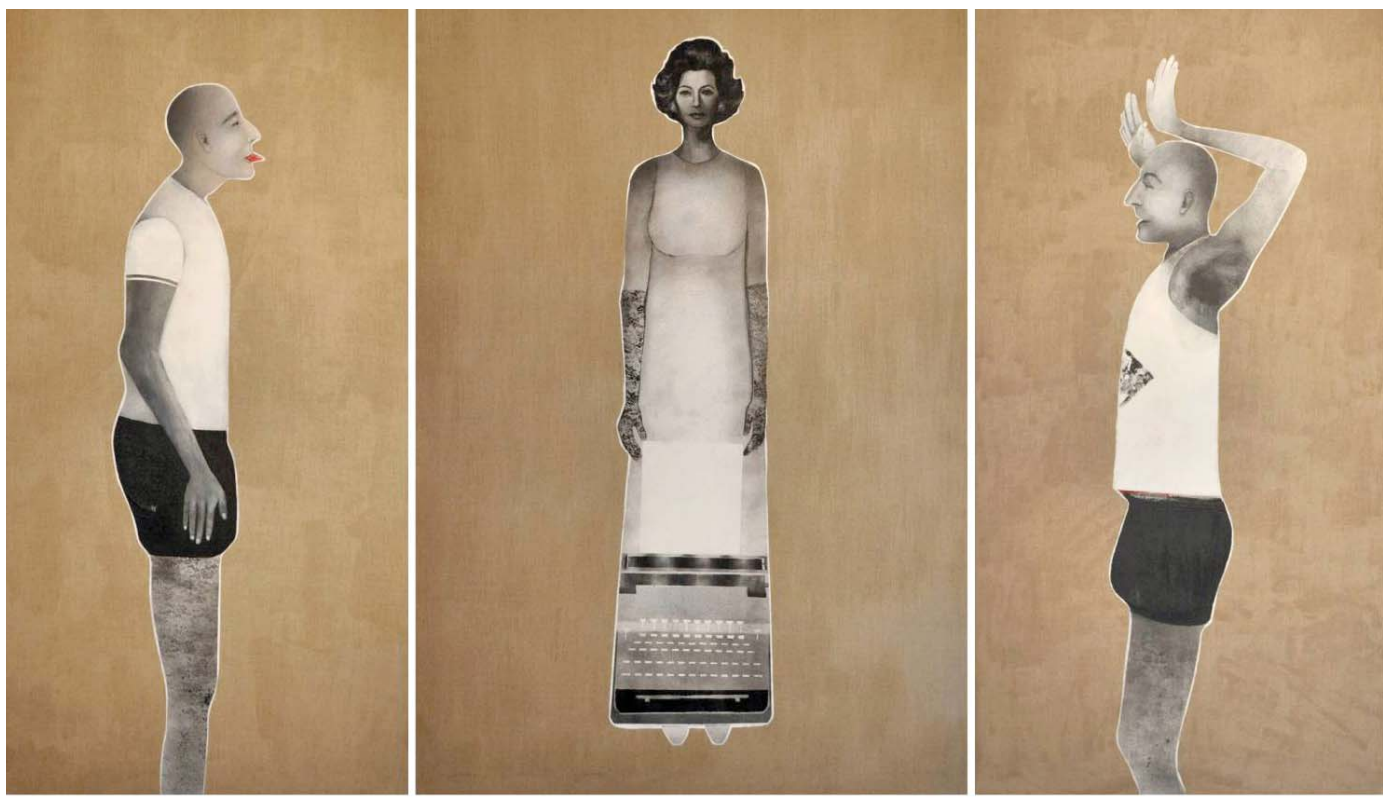

أخلاقيات المناقشة تجنبنا السيطرة والخداع (لوحة للفنان خالد تكريتي)

إنجلز ومورغان والطهطاوي ثلاثة يتفقون على صورة الآخر

محمد بشير رازقي

نبدأ في هذه الورقة بالقول إنّ فكرة التصنيفات الاجتماعية وخاصّة فكرة الآخر "البدائي" تتخلّل مجمل الحضارات الإنسانيّة. وتعتبر مسألة اختراع الآخر وتشكيل صورة له من أهمّ آليّات محاولة السيطرة عليه حين تلتحم المعرفة بالسلطة والقوّة. يُعْتَمد هذا لشرعنة العمليّة التصنيفيّة على مجموعة من المعايير لتشريح الآخر و"مشهدته" حيث يصبح "معجبة" بعبارة إدوارد سعيد. فلون البشرة والدين واللغة.

تعتبر الصور النمطيّة "Stéréotype" من أهمّ تجلّيات جدليّة الداخلي والخارجي من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر هذه الصور التصنيف (catégorisation) والترميز (symbolisation). وتتنوّع الصور النمطيّة من صور نمطيّة اجتماعية ووطنيّة وإثنيّة وطبقيّة، هذا دون إغفال الأبعاد الالتفافية والإثنومركزيّة والإقصائيّة، أيضا معاداة الساميّة (antisémitisme) وكراهية الأجانب (xénophobie) والإسلاموفوبيا كظواهر حديثة لظاهرة الصور النمطيّة. هذه السرديّات تساهم في بناء ذهنيّة جماعيّة تستبطن مجموعة من التمثّلات تجاه الآخر.

في هذا الإطار سوف نأخذ كنموذج تفسيري لمسألة تمثّل الآخر ثلاثة أمثلة من القرن التاسع عشر، وسنقوم بدراسة مقارنة بين فريديريك إنجلز من خلال كتابه "أصل العائلة والملكيّة الخاصّة والدولة" (ألّف قبل 1884) مع الاستنجاد بآراء الأنثروبولوجي لويس هنري مرغان (ت1881)، وكتاب رفاعة رافع الطهطاوي (1801 – 1873) ومؤلّفه "أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسمعيل" (ألّف سنة 1868). ومن خلال دراسة مقارنة بين الكتاب الثلاثة سوف نحاول أن نعرف القواسم المشتركة بينهم في تمثّلهم للآخر "البدائي".

كتاب "أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسمعيل" ألّفه الطهطاوي سنة 1868 أي بعد رجوعه من فرنسا بحوالي ثلاثين سنة. وقد أتقن الطهطاوي اللغة الفرنسيّة والترجمة وقد عيّن مديرا "لمدرسة الألسن"، وكانت هذه المدرسة تدرّس اللغة الفرنسيّة والإيطاليّة والإنجليزيّة منتجا مهمّا للسرديّات والكتابات التي يمكن أن تكون رصيدا غنيّا للباحث لتكوين مدوّنته المصدريّة. وتنضوي الصور النمطيّة ضمن إطار سيميولوجي كامل كما أكّد على ذلك هنري بوير، هذا إلى جانب "ترسيخ الشعار" (emblème) و"الأسطورة". إذ أن الصور النمطيّة والشعار أو الوصمة والأسطورة ترتكز على آليّة التصنيف (catégorisation) والترميز (symbolisation). وتتنوّع الصور النمطيّة من صور نمطيّة اجتماعية ووطنيّة وإثنيّة وطبقيّة، هذا دون إغفال الأبعاد الالتفافية والإثنومركزيّة والإقصائيّة، أيضا معاداة الساميّة (antisémitisme) وكراهية الأجانب (xénophobie) والإسلاموفوبيا كظواهر حديثة لظاهرة الصور النمطيّة. هذه السرديّات تساهم في بناء ذهنيّة جماعيّة تستبطن مجموعة من التمثّلات تجاه الآخر.

في هذا الإطار سوف نأخذ كنموذج تفسيري لمسألة تمثّل الآخر ثلاثة أمثلة من القرن التاسع عشر، وسنقوم بدراسة مقارنة بين فريديريك إنجلز من خلال كتابه "أصل العائلة والملكيّة الخاصّة والدولة" (ألّف قبل 1884) مع الاستنجاد بآراء الأنثروبولوجي لويس هنري مرغان (ت1881)، وكتاب رفاعة رافع الطهطاوي (1801 – 1873) ومؤلّفه "أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسمعيل" (ألّف سنة 1868). ومن خلال دراسة مقارنة بين الكتاب الثلاثة سوف نحاول أن نعرف القواسم المشتركة بينهم في تمثّلهم للآخر "البدائي".

كتاب "أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسمعيل" ألّفه الطهطاوي سنة 1868 أي بعد رجوعه من فرنسا بحوالي ثلاثين سنة. وقد أتقن الطهطاوي اللغة الفرنسيّة والترجمة وقد عيّن مديرا "لمدرسة الألسن"، وكانت هذه المدرسة تدرّس اللغة الفرنسيّة والإيطاليّة والإنجليزيّة والتركية والفارسية. أيضا أسّس في القاهرة مدرسة المحاسبة التي تدرّس ومدرسة الإدارة. وكتابه هذا يعبّر عن مشروع سياسي متكامل متواز مع كتابة تاريخيّة مبتكرة آنذاك في العالم العربي تتمحور أساسا حول الوطن. فكل الكتاب متمحور حول مصر من العصر الفرعوني إلى عصر الكاتب.

نلاحظ أوّلا أن إنجلز والطهطاوي عاشا تقريبا في نفس الفترة الزمنيّة وإن كان كتاب الطهطاوي يسبق كتاب إنجلز دون أن نغفل استفادة إنجلز من أعمال لويس هنري مورغان (1818 – 1881) وخاصّة كتابه الأساسي "المجتمع القديم" (1877). نسجّل استخدام إنجلز استنادا إلى مورغان مصطلحات "الوحشيّة والبربريّة والمدنيّة"، عند حديثه عن عصور التطوّر الرئيسية الثلاثة. فالبدائي همجي قبلي. أمّا العرب قبل الإسلام في كتاب الطهطاوي فقد "كانت النصرة عندهم تقوم مقام الحقوق المدنيّة فيما يترتّب عليه من المزايا البلديّة".

إنجلز يرى في البدائي افتقاده لثنائيّة حاكم/ محكوم حيث ليس هناك صراع على وسائل الإنتاج، وهذا ما أشار إليه الطهطاوي حيث أنّ "قدماء القبائل والعشائر إمّا أن تكون طبيعة بلادهم تلائم في المعيشة القنص والصيد ورعي الماشية... فالقبيلة الصيّادة أو الراعية يبطئ تقدّمها في التمدّن لأنّ مورد كسبها ضعيف ومصدر احتياجها لطيف تقنع من العيش دون الطفيف" عكس الحضارات "التي تسعى في مضمار الترتيب والتنظيم". والطهطاوي هنا مزج بالمقارنة مع نظريّة مورغان بين المرحلة الوحشيّة وجزء من المرحلة البربريّة (دون مرحلة إتقان زراعة الأرض)، فالوحشيّة "يعيش الإنسان على ما تنتجه الطبيعة دون مجهود إنساني" والبربرية "هي المرحلة التي عرف الإنسان فيها استئناس القطعان الحيوانية وتربيتها".

كما نجد عند إنجلز علاقة عضويّة بين الآخر المدروس والفطرة، فهو صفحة بيضاء في انتظار الرجل الأبيض لإعادة صياغتها. عند الطهطاوي عوّضت الفطرة بـ"الطبع"، وقد استخدم كثيرا هذا المصطلح خاصّة عند حديثه عن العرب في الفترة "الجاهليّة" حسب تعبيره هذا إلى جانب توظيف مصطلح "الجبلّة" و"الغرائز"، فالعرب قبل الإسلام "مطيعة لطبائعها التوليديّة وغرائزها الفطريّة وكانت المَلَكة الأصليّة الجبليّة فيهم على حدّ سوى". في حضور الغريزة ليس هناك مكان للعقل والتفكير.

يوجد توافق زمني بين الطهطاوي ومورغان وإنجلز كما نجدهم متشابهين في مستوى المصطلحات المستخدمة في تمثّل الآخر

ونجد عند إنجلز تعريف المرحلة الثالثة "المدنيّة، وهي المرحلة التي تعلّم الإنسان فيها عمل الإنتاج الطبيعي بالمجهود الصناعي كما تعلّم الفنون"، نفس هذا التعريف نجده عند الطهطاوي عند حديثه عن التطوّر الذي شهدته مصر خاصّة مع الحضارة الفرعونيّة أو بعد دخول الإسلام إليها. فمن مظاهر المدنيّة عند الكاتب "العمائر والأبنية الجليلة، الآثار الدالّة على التمدّن والرفاهية، وتقدّم الفنون (نفس مصطلح إنجلز) والصنائع". أيضا "العمائر والأبنية الجليلة الآثار الدالة على التمدّن والرفاهية... افتتحت طريق التجارة وأعانت الزراعة والفنون والزراعة". نلاحظ تقريبا نفس المصطلحات المستخدمة في التعريفين.

هذا البناء لا يتقنه أهل البربريّة حيث نجد "الهكسوس" مثلا الذين هاجموا مصر سابقا فهم "العمالقة المتّصفون بوصف التدمير والخراب".

ومن ناحية أخرى نجد عند إنجلز أنّ الممارسات العنفيّة عند المجموعات البدائيّة تشكّل بنية وممارسة حياتيّة بل أحيانا ضروريّة للاستمرار. الطهطاوي يرى أنّ العرب قبل الإسلام كان دأبهم "سفك الدماء والإيثار بالفخار"، فهم "يسوّسون نفسهم بنفسهم" وكلّ شيء قائم على منظومة "الثأر".

وهذه المجموعات بالنسبة إلى تمثّل مورغان ليست لها ضوابط وقوانين وتعتمد سياسة البقاء للأصلح، عكس الحضارة الغربية التي ترتكز على القوانين الواضحة المرتكزة على منظومة الحقوق والواجبات. وهذا ما يؤكّد عليه الطهطاوي أيضا حين يتحدّث عن مصر "لم تسبقها أمّة في ميدان التمدّنيّة... ولا في حومة تقنين القوانين وتشريع أحكام الأحكام المدنيّة". أمّا الآخر فهو تلك "الأقطار السودانيّة القاصية" أو "تلك البلاد المجهولة الأحوال" (14). وهم الذين يتنقّلون "من جهة إلى أخرى بلا قيد أو شرط".

ويمكن أن نستنتج من خلال النماذج التفسيريّة الثلاثة التي أخضعناها في البحث أنه يوجد توافق زمني بين الطهطاوي – مورغان – إنجلز، فهم جميعا أبناء القرن التاسع عشر. أيضا نلاحظ توافقا على مستوى المصطلحات المستخدمة في تمثّل الآخر. هذا مع ملاحظة أن التصنيف المعتمد في الكتابين هو تصنيف تحقيري بامتياز في تمثّله للآخر، فهو الآخر "المجهول" الفوضوي الهدّام الفاقد للقوانين. وتفضيلي في تمثّله للأنا أو للنحن.

ص10 وص13 ومقال هيثم حسين في ص 12 تنشر كلها كاملة على الموقع الإلكتروني بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الثقافية اللندنية

الآخر المجهول فوضوي هدّام فاقد للقوانين (لوحة للفنان فؤاد حمدي)

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

على الرواية ألاّ تتحول إلى سجال سياسي أو مجرد بوق أو منشور

الروائي والناقد السوري نبيل سليمان: دور المثقف لا ينتهي في التغيير والإصلاح

لا زلت أتنسّم سلاسة السرد والفكرة في الروايات الوجودية

في السبعينات بدأت المغامرة الحداثية وبدأ التجديد والتجريب، وانفتحت صفحة جديدة في تاريخ الرواية السورية. وقد جاء فوز الكاتب السوي نبيل سليمان بجائزة مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية في دورتها السابعة عشرة (2020 - 2021)، في حقل القصة والرواية والمسرحية، تتويجا لمسيرة مشروع أدبي شامل بين النقد والأدب، وتقديراً لمنجز ناهز عمره الخمسين عاما من العطاء. وقد التقت الـ"العرب" سليمان أثناء حفل توزيع الجوائز مؤخرا وطرحت عليه العديد من التساؤلات الخاصة بمشروعه ومراحل مسيرته الفكرية والفنية.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

يشكل المشروع الروائي للكاتب السوري نبيل سليمان جنبا إلى جنب مع رؤاه وتحليلاته النقدية علامة مهمة في المشهد الروائي والنقدي السوري على مدار النصف قرن الأخير، انطلاقا من أوائل السبعينات وحتى الآن، من خلال اثنتين وعشرين رواية وما يقرب من عشرين كتابا في النقد الأدبي وغيره، حيث تجلّت في مشروعه إشكاليات وقضايا وهموم المجتمعين السوري والعربي السياسية والثقافية والفكرية والاجتماعية والدينية، الأمر الذي تمكن معه مكاشفة ثرية لمختلف الفضاءات والوقوف على أبرز التوترات والصراعات التي عالجتها رواياته وقراءاته الثقافية وتحليلاته النقدية للمشهد الروائي.

بداية يلقي سليمان الضوء على مرحلة ما قبل الكتابة وصدور روايته الأولى "ينداح الطوفان" 1970 وقراءاته وتوجهاته الفكرية والإبداعية والثقافية وقت صدورها، يقول "ليس لي من قبل مرحلة الكتابة إلا غرارات ما قبل الرابعة عشرة. كيف يكون المرء في ذلك السن؟ طفل؟ يودّع الطفولة؟ يشرع روحه للمراهقة؟ في واحدة من تلك الغرارات كنت مع أسرتي في بلدة جبلية صغيرة تبعد عن الشام (دمشق) بمئتي كيلومتر. لكن مجلات صحف العاصمة كانت تصلها ظهراً أو عصر كل يوم".

ويتابع "في عدد من مجلة 'الدنيا' أسرني عمود، لا أذكر إن كان شعراً أم نثرا. نقلته على دفتري، وامتلأت يقيناً أنه لي. قرأت ما نقلت لأبي، وكذبت عليه، وصدق الكذبة، وتباهى بها بعد أيام أمام والده. بعد حين طويل أو قصير، لا فرق، وقع عدد المجلة بين يدي أبي. لم أُحسِن تخبئته، بل لم أمزّقه أو أتخلص منه. بلع أبي الكذبة، ولم أبلعها إلى اليوم، على الرغم من أنني تصالحت معها بعد قليل، حين كتبت القصة الطويلة – الرواية القصيرة الأولى وأنا في الرابعة عشرة، وعنوانها 'حكاية حلم'".

البدايات الروائية

يقول سليمان "ما بين هذه 'الغرارة' أيضاً وصدور 'ينداح الطوفان' عشر سنوات عامرة بالقراءة في الرواية والشعر والقصص الشعبي ومترجمات سارتر وكولن ويلسون وكامو وسيمون دوبوفوار، ومقررات ومراجع السنوات الأربع للطالب في قسم اللغة العربية في جامعة دمشق. وكنت في تلك السّنوات قد شرعت في كتابة رواية، حتى إذا بلغت ثمانين صفحة عجزت عن المتابعة كما شرعت بكتابة رواية أخرى لا تزال خبيئة في حرز حريز، وكانت 'الوجودية' هي الميسم الأكبر مجبولة بالهوى القومي، في سنوات الجامعة التي سيعقبها التمركس، وما أدراك ما التمركس".

كانوا قد نشروا رواياتهم منذ الخمسينات مثل مطاع صفدي (دمشق 1929 – 2016)

ويشير الكاتب إلى أنه "بعد طيّ كل تلك السنين، لا زلت أتنسّم سلاسة السرد واندغام الفكرة – الفلسفة في الروايات الوجودية. أما ما أسرع إليّ وأسرعت إليه من الماركسية، فربما هو ما مال بي عن الستالينية أولاً، ثم عن اللينينية أيضاً، بالأحرى عن الشيوعية السوفياتية وظلها السوري أو ظلالها العربية".

ويذكر أنه آنئذٍ كانت قد بدأت مؤلفات ومترجمات ماركسية غير متحزبة (لا سوفياتية ولا صينية ولا يوغسلافية)، بل "نقدية" تتلامح فيها أطياف غرامشي وألتوسير وروزا لوكسمبورغ، وتظهر فيها تشققات الحزب الشيوعي السوري، وكتابات إلياس مرقص، وصداقة وكتابة بوعلي ياسين، وهزيمة 1967. كل ذلك فعل فعله العميق في تشكيل روائي في الحياة، وفي معنى وسر هذه الحياة، أي في الكتابة، ولعلّي أستطيع إيجاز ذلك، بالأحرى تقطيره في: الفكر النقدي والمواقف النقدية، قل: النقدية، والتجديد والتجريب".

وحول خارطة المشهد الروائي في سوريا في تلك الفترة التي انطلق منها في الكتابة أوائل السبعينات، وحجم التبدلات التي أصابتها بعد ذلك، يتابع سليمان "قبل سبعينات القرن العشرين كان الرواد منسيّين، مثل فرنسيس المراش (حلب 1836 – 1873) صاحب 'غابة الحق' و'دُرّ الصَّدف في غرائب الصُّدف' أو شكيب الجابري (حلب 1912 – 1996) صاحب 'قدر يلهو – نهم – قوس قزح' والذي عاش حتى التسعينات، مثل من صاحب 'ثائر محترف' و'جيل القدر'، أو حسيب كيالي (إدلب 1921 – 1993) أو هاني الراهب صاحب 'المهزومون' أو صدقي إسماعيل (اللاذقية 1939 – 2000) صاحب 'العصاة'".

ويبين أنه وحده حنا مينه (اللاذقية 1924 – 2018) كان حضوره روائياً يطّرد. وكانت قد صدرت له "المصابيح الزرق" و"الشراع والعاصفة".

> في الثقافات الشرقية، ومنها ثقافات العالمين العربي والإسلامي، الكثير والبديع والخالد من الروحانيات التي تناقض كل استبداد

ويتابع "هكذا ظهرت روايات السبعينات لكتّاب جدد، وأنا واحد منهم، بحضور من ذكرت، وهو ما كان بمعنى مّا تحدياً كما أحسب أنه كان فرصة ثمينة للتفاعل. وربما يمكن القول إن الأجيال هنا اشتبكت. وإلى ذلك كان النقد الأدبي بعامة، ونقد الرواية بخاصة، محدوداً، وفي الغالب: متواضعاً. وسرعان ما بدأت التبدلات، مع التشديد على ما كان لهزيمة 1967 من فعل في الجميع. لقد بدأت روايات من سبقونا تتوالى وتتألق، مثل روايات حنا مينه وهاني الراهب وحيدر حيدر ووليد إخلاصي. كما بدأت روايات السبعينيين تتوالى وتتقد مثل روايات غادة السمان وخيري الذهبي وآخرين ربما كان منهم هذا الذي يجيب على سؤالك. وبكل ذلك بدأت المغامرة الحداثية وبدأ التجديد والتجريب، وانفتحت صفحة جديدة في تاريخ الرواية السورية".

ما بين عالمين

كون مشروع سليمان يجمع بين عالم الرواية وعالم نقد الرواية وفي كل منهما حقق حضورا عربيا لافتا، تساءلنا عن استفادة الروائي من الناقد والناقد من الروائي، ويجيبنا الكاتب "الناقد في ما كتبت وقرأت وعشت هو في خدمة الروائي. لولا الرواية ما كتبت حرفاً في نقدها، ولا في نقد النقد. أما كيف استفاد الروائي من الناقد، فألخصه بتعميق وإثراء وعي الذات، وعي الكاتب بكتابته. وأحسب أن الناقد استفاد من الروائي بالتخفيف من الرطانة، وبسلاسة الأسلوب، وتطوير الذائقة".

ولأن انشغالات وهموم سليمان في كلا العالمين الإبداعي والنقدي تذهب كثيرا إلى السياسة على اختلاف تشكلاتها وانعكاساتها على القضايا المجتمعية وتأثيراتها على حيوات الشخصيات. يقول "إذا كانت السياسة هي قدر الاجتماع البشري بعامة فهي بخاصة قدر هذا الذي يسمّى العالم العربي أو الإسلامي أو الشرق الأوسط أو أفريقيا. لقد أفقت في الدنيا على إيقاع هزيمة فلسطين (1948) والانقلاب العسكري (الشيشكلي) وحرب 1956 في مصر والوحدة السورية المصرية 1958. وتطوّح شبابي بين سيطرة العسكرة وحزب البعث على سوريا (والعراق) عام 1963 وهزيمة 1967 و.. هل أتابع العدّ؟".

ويضيف "لا فكاك لك كمواطن – غالباً ما يُعامَل الواحد منا كحيوان، وليس كمواطن – من السياسة. ولا فكاك لك منها ككاتب. لكن للكتابة من السياسة انفكاك بقدر ما لها أن تتمثلها وتتشرّبها وتعيد صياغتها بالوعي النقدي وبالموقف النقدي. لا يقارن ما كلفتني السياسة في حياتي بما كلّفت به حيوات آخرين من كتّاب أو مثقفين أو مشتغلين بالسياسة من قريب أو بعيد. ماذا لمثلي أن يتكلم أمام من قضى في السجن عشرين سنة دون محاكمة، وبالحرمان من أبسط حقوق السجين؟".

ويتابع "لقد منعت السياسة روايات عديدة لي من التوزيع أو الطباعة في سوريا وفي خارج سوريا أحياناً. ومنعتني السياسة من السفر أحياناً. وجرّت السياسة عليّ الاعتداء الجسدي سنة 2001، والاعتداء على منزلي سنة 2011، لكن هذا كله بالكاد له أن يُذكر أمام ما جرّت السياسة الحاكمة والمعارضة من البلوى. وقد كان لكل ذلك فعلٌ ما في تكوين العديد من شخصيات رواياتي في مختلف الأجيال والمراحل. وهنا يأتي المهم والأهم وهو ألا تتحول الرواية إلى سجال سياسي أو بوق سياسي أو منشور سياسي. أنت تعلم كم تحدث النقد عن 'الرواية السياسية'، حيث المعيار دوماً هو الفن".

وحول رؤيته إلى مسار الرواية السورية خاصة بعد أن دفعت الثورة السورية 2011 بالكثير من الكتّاب والكاتبات إلى المنافي. وقد ظهرت الكثير من الأعمال لمختلف الكتاب من مختلف الأجيال ومن بينها جيل جديد من الكتّاب والكاتبات.. يرى سليمان أن "ثمة طوفان روائي في سوريا كما في غيرها من الفضاء العربي. وأغلب الطوفان الروائي السوري هو ما ظهر في المنافي بعد الزلزال السوري 2011. بيد أن هذا 'الأغلب' ناء الكثير الكثير منه تحت وطأة السياسة، وهنا قد يكون مفيداً وصحياً أن يُستعاد الجواب السابق. وليس ما ظهر في الداخل من روايات الجيل الجديد بأحسن حالاً. إنها التحديات الروحية والثقافية والإبداعية الكبرى، مثلما هي تحديات عيشنا الكبرى في الداخل والخارج".

دور المثقف

لأنه عادة ما يقسّم النقاد أعمال الروائيين خاصة من يمتلكون مشروعا إلى مراحل كما حدث مع نجيب محفوظ وإدوارد الخراط وبهاء طاهر وغيرهم، نسأل سليمان عن مراحل مشروعه وما الذي يميز مرحلة عن مرحلة أخرى، وهنا يقول "سبق لي أن تحدثت عمّا أحسبه المرحلة الأولى من كتابتي الروائية، والتي بدأت عام 1970، وتمثلت في رواياتي الثلاث الأولى. وكان أن توقفت بعدها عن كتابة الرواية أربع سنوات، أنجزت خلالها بالاشتراك مع بوعلي ياسين كتاب 'الأدب والأيديولوجيا في سوريا 1967 – 1973'، كما أنجزت محاولة رائدة في نقد الكتاب المدرسي، عنوانها 'النسوية في الكتاب المدرسي السوري'، وهذا الكتاب سيغدو منذ طبعته الثانية – أيديولوجيا السلطة: بحث في الكتاب المدرسي".

ويضيف "عندما عدت إلى الرواية واجهت محرّم الكتابة عن المؤسسة العسكرية، وواجهت الهزيمة التي استبطنت حرب 1973. وفي 'جرماتي' أو 'ملف البلاد التي سوف تعيش بعد الحرب' و'المسلّة' كما في ما تلاهما 'هزائم مبكرة' بعد سنوات من التوقف عن كتابة الرواية، جاءت محاولة ما شاءت تسميته الآن: التخييل الذاتي، والذي بلغ في رواية 'المسلّة' أن حملت شخصيتها المحورية اسم الكاتب 'نبيل'. وبعد ذلك جاء المفصل الحاسم في مرحلة جديدة عنوانها رباعية 'مدارات الشرق'، وهي المحاولة/النزيف/الحفرية التاريخية للتبصّر فيما أوصلنا إلى ما نحن فيه من التردي".

ويبين أنه "لاحقا ستستبطن وتعلن روايات تالية أخرى ذلك، حتى إذا زلزلت سوريا وزلزالها، وبدأ الحراك/الانتفاضة/الثورة، وبدأت العسكرة وتبددت العسكرة وتبددت السلمية، دخل مشروعي الروائي بعد أربعين سنة في منعطف مصيري تمثل حتى اليوم في أربع روايات، صدرت آخرها 'تحولات الإنسان الذهبي' منذ أسابيع".

في كتابه "طغيانيادا.. حفريات في التاريخ الثقافي للاستبداد" طرح سليمان قضية الارتباط بين الثقافي والسياسي، وفي كتابه "في التباب ونقيضه" طرح سؤال الهوية وعلاقة بين الألوهة والدكتاتورية، الأمر الذي يدعو للتساؤل عمّن يصنع الآخر المبدع المثقف أم السياسي الدكتاتور.. يقول "هذان الكتابان هما أيضاً من سنوات الزلزال وعنهما، وهما بالتالي يتعانقان مع الروايات الأربع. وفي الكتابين كما في الروايات تعرية وتفكيك للأقنومين: المثقف والسياسي، وتعرية وتفكيك لما بينهما من تعالق أو تناقض. وأحسب أن الحديث عن التعالق والتناقض أدق تعبيراً من الحديث عمّن يصنع الآخر: السياسي الدكتاتور أم المثقف".

ويرفض سليمان أن تكون الثقافات الشرقية ثقافات استبدادية من الصين إلى روسيا إلى العالمين العربي والإسلامي، ويرى أنه "في الثقافات الشرقية، ومنها ثقافات العالمين العربي والإسلامي، الكثير والبديع والخالد من الروحانيات التي تناقض كل استبداد. وفيها الكثير والبديع والخالد أيضاً من الفكر النقدي وصبوات الحرية في الفنون والآداب، وكما في ثقافات العالم، حيث أيضاً تلك التشوهات والدمامة الفتاكة من ثقافة الاستبداد".

ويؤكد أن دور المثقف لا ينتهي في التغيير والإصلاح ما دام ثمة من يواجه بعينيه مخرز الفساد والاستبداد المحلي والعالمي. مادام ثمة مثقف لا يخدعه ما لهذا العصر من البريق العولمي، ولا تخدعه إغراءات الاستبداد والفساد، فلن ينتهي دوره. لكن هذا الدور يتبدل ويتجدد. ليس من وصفة ساحرة ومؤبدة هنا. الخالد والوحيد هنا هو النقدية والنزاهة، هو القيم الإنسانية النبيلة، قيم الحرية والمعرفة والجمال والعدالة.

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

«السندباد الأعمى» لعبة روائية مفتوحة على التأويلات والاحتمالات

بثينة العيسى تعيد تشكيل الهامش الذي سقط في غمرة الأحداث

تحيد الكثير من الروايات التاريخية عن كونها تأريخا حقيقيا للأحداث، وتنتهج دورا آخر هو التخييل التاريخي، وهو كما يقول الناقد المغربي سعيد يقطين "قابل لأن يتضمن أنواعا فرعية مع الزمن"، وهذا ما نجده ماثلا في رواية الكاتبة الكويتية بثينة العيسى الجديدة "السندباد الأعمى.. أطلس البحر والحرب" التي لا تقترح مادتها نصا تاريخيا بل تقدم وجهة نظر أخرى من زوايا أخرى للتاريخ والأشخاص والأحداث.

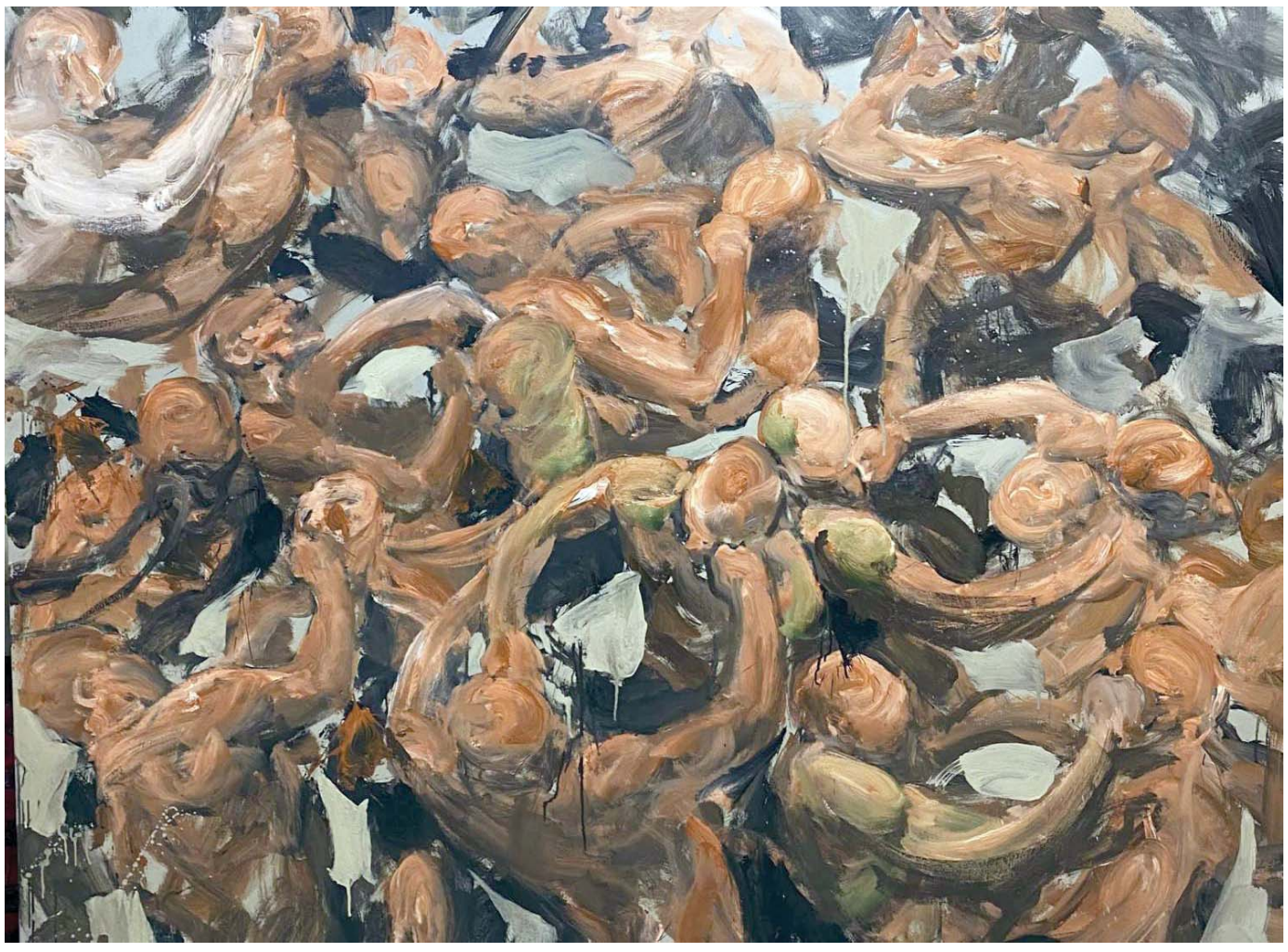

ويلات الحرب والصراعات النفسية (لوحة للفنان سيروان باران)

هيثم حسين
كاتب سوري

تشكل النقائض التي يعج بها التاريخ والواقع سواء بسواء مادة دسمة للروائية بثينة العيسى في روايتها الجديدة "السندباد الأعمى.. أطلس البحر والحرب" التي تربط فيها بين زمن الغزو العراقي للكويت سنة 1990 وزمننا الراهن؛ أي في وقت اجتياح جائحة كورونا لعالمنا وما خلفته وتخلفه من تداعيات على مختلف الأصعدة.

لم تسع العيسى للي عنق التاريخ وتطويع أحداثه من أجل تركيب أحداث روايتها، بل انتقلت إلى الهامش الذي عادة ما يسقط في غمرة الأحداث الكبرى العاصفة، وسعت لتوثيق الكثير من مفارقات الهوامش والشخصيات التي وجدت نفسها في أتون المتغيرات من دون أن يكون لها رأي أو قرار في ذلك.

تلتقط منذ البداية مفارقة المفاهيم والمصطلحات في واقع عبثي غرائبي، حيث تتصادم مفردات الاحتلال والحرية وجها لوجه في اشتباك معنوي يشير إلى ما يليه من اشتباكات على أكثر من جانب، وفي العديد من المواقف، بحيث يكون الصراع محورا فاعلا رئيسيا بين الشخصيات وواقعها وما يشتمل عليه من تناقضات بدوره من جهة، وبينها وبين أنفسها في الوقت نفسه من جهة أخرى.

> الرواية تقدم شخصيات معطوبة قلقة تائهة في بحار من الحيرة وفي حروب من المواجهات المحتدمة في دواخلها

ولم تضع الحرب أوزارها في نفوس شخصيات "السندباد الأعمى" التي ظلت مسكونة بالمرارة والقهر والأسى والاغتراب عن كل ما يحيط بها، وكأنها أصبحت ملعونة بلعنة الحرب التي لا يمكن أن تزيلها، وتسعى جاهدة للتحرر منها من دون أي جدوى، فتراها ترتضي المكوث في قعر هاوية اليأس تنسج حكايات القهر والغدر والخيانة والبؤس.

شخصيات معطوبة

يأتي الاستهلال الروائي ضاجا بالمفارقات وصادما "في ذلك اليوم، عندما كان جيش الاحتلال يتوغل في ضواحي البلاد، معلنا امتلاكه للبحر والأرض والسماء، للأطالس والمعاجم والتاريخ، وبينما كانت البلاد بأسرها تتحول إلى سجن كبير، فوجئ نزلاء السجن المركزي، وحدهم، بالحرية". يصدم أبناء البلاد ويفجعون باجتياح الاحتلال في حين أن السجناء يصدمون بخبر حريتهم التي تنزل عليهم كصاعقة، أو صفعة غير متوقعة، فيكون التبلبل بالموازاة مع الحيرة عنوانا لحركاتهم وتصوراتهم، يخشون مما يجري وفي الوقت نفسه يهربون إلى خارج أسوار السجن، من دون أن يدركوا حينها أن البلاد كلها تحولت إلى سجن كبير وحشي قاس.

تختار العيسى من بين السجناء الخارجين من السجن شخصية نواف، تقتفي أثره، وتبني عمارتها الروائية انطلاقا من حدث الحرية المباغتة التي تصدمه وتعيده إلى واقع مختلف، وكأنه عائد من زمن آخر بعيد أو ملقى به في مكان موحش غريب لا ينتمي لمكانه الأصلي بصلة.

وتنتهج مبدعة "كل الأشياء" في "السندباد الأعمى" استراتيجية متناغمة في العنونة، ابتداء من اختيارها عنوانا فرعيا "أطلس البحر والحرب" مكملا للعنوان الرئيسي ومتجاورا معه بحيث ينفتح على دلالات وتأويلات مختلفة، توحي بالحب وتومئ إليه ولاسيما في طيات كلمتي البحر والحرب، إذ تكسر الثنائية التي تتكرر عادة بالحديث عن الحب والحرب، ليكون استحضار البحر بدلا من الحب وإيراده لتفتح كوى على لعبة التأويل والتخييل في هذه الحالة.

ثم تأتي الفصول التي ترسم مخطط الرواية، ابتداء بالفصل صفر "المارد خارج القمقم"، مرورا بالفصول التالية "قلب حورية البحر"، "الطوافة والطوفان"، "السندبادان"، "في بطن الحوت"، "أسراب طائر الرخ"، "القنطرة"، وصولا إلى "ورقة لاصقة على مغلف" التي تتبدى ملاحظة خاصة من بطلة الرواية، بحيث تحضر كفصل ختامي من دون أن تسبق بكلمة فصل، كأنها تضعه في خانة الخاتمة للفصول، وتقفل به دائر الأطالس التي تقتحم عبرها ثنيات في التاريخ وخبايا منثورة هنا وهناك على قوارع دهاليزه.

وتتكامل الصورة الرئيسية على الغلاف مع العنوان ومع تفاصيل وأحداث ترد في سياق الرواية، بحيث يكون القط الأعمى، أو الذي تم إلصاق لاصقتين على عينيه للدلالة على انعدام الرؤية لديه، حاضرا من خلال القط الذي تتسلى به الطفلة في عتمة الحرب، ويكون ترميزا بدوره على العتمة التي ألقت بظلالها على البلد برمته وعلى أبنائه الذين كانوا بمثابة أبناء السندباد الأعمى نفسه.

العمى يكسر الحالة الجسدية والمباشرة لينتقل إلى عالم آخر، يقود معه الشخصيات إلى ظلمه وظلامه، عمى البصائر يغرق البشر المتحولين إلى أضداد متعاركة في واقع العبث والاحتراب والاستغلال والابتزاز والضياع، يلقي بكوارثه على الجميع ويخيم بكلكله المفجع ليتحول إلى أسلوب حياة في فترة الاحتلال التي تظل جرحا نازفا في تاريخ المنطقة ليس من السهولة ترقيع ذكرياته أو تناسي تأثيراته المدمرة.

وتصور العيسى عبر شخصيات أبطالها جميعا مراحل مختلفة في تغير البلاد والنفوس معا، وتكون شخصياتها النسائية حاضرة بقوة أكبر ومحركة لأحداث التاريخ المهمش، بحيث تتصدر الخيبات المتناسلة وترتحل بها ومعها من زمن إلى آخر، وكأنها إرث تتناقله من جيل إلى جيل، من نادية إلى منايرة ومن ثم إلى هدى، وقبلهن الجدة المفطورة الفؤاد المسكونة بهواجس العودة إلى حياة سابقة هادئة، لكن من دون أي جدوى.

نادية رهينة الحب المتعامي عن ماهية الحب، ضحية قيود الواقع واشتراطاته القاسية، تتزوج من صديق حبيبها الذي ينأى بنفسه عن مواجهة حبه وواقعه، ويحاول الالتفاف عليه وتحويره وكأنه تهمة نتيجة اختلاف الطائفة، ولا يسعى لتحطيم تلك القيود التي تكبل حبه وروحه فيقع أسيرها طيلة حياتها ويوقع نادية في متاهة اللاحب واللايقين واللاانتماء معا.

منايرة التي تستعيد ذكرى الأم المغدورة تقف شاهدة شهيدة بدورها على مجريات القهر وسرديات الأسى، تقع في فخ الخيبة أيضا، ترث المرارة وتورثها لهدى، بحيث لا يغيب خيط القهر ويبقى متناسلا متسلسلا عبر أجيال النساء اللاتي لم تغير الحرب ولا الكوارث من حقيقة قهرهن والتضحية بهن على مذبح تاريخ ماكر وواقع متغول لا يرحم.

وفيما يصح توصيفه بالبداية التالية للمفتتح الروائي، تكشف الروائية التغيير الرهيب الذي وقع بقولها "حتى ذلك النهار، كان كل شيء في مكانه؛ البشر على اليابسة، السمك في البحر أو في المقلاة. لم ينقلب العالم رأسا على عقب، ولم تبدأ مناير في الاختفاء".

ثم تنتقل بعد ذلك لاستكمال تصوير الانقلابات الحاصلة في الوجود نفسه، وكيف أصبح التيه وجودا موازيا كئيبا موحشا لا طاقة على مواجهته أو مقارعته، حين تكتب "كان البحر الذي تحول من الأزرق إلى الزئبقي يشبه مرآة مترامية، والسماء مرآة، وبين المرآتين المتقابلتين، كان الوجود متاهة.. لكن لم يخطر لأي منهم أنه كان تائها. إلا أنهم على وشك اكتشاف ذلك".

لا مفر للشخصيات من الوقوع في براثن التيه، بحيث تغدو فرائس للعدم نفسه، لا من منطلق السكنى في العدمية أو استدراج فلسفة العدم إلى واقع الحرب، بل من جهة التشكك الذي قلب كل شيء وأوقع الجميع في مستنقع المتاهات التي عصفت بهم وحولتهم إلى نزلاء الجحيم.

وتصف العيسى الخوف الذي يتلبس شخصية من شخصياتها وصفا مؤلما يجمع بدوره بين الأضداد بطريقة لافتة، وذلك حين تقول "بدأ الخوف يتفتح في أعماقها، مثل جرح مزهر بألف توبج. احتلال، حرب، غزو. إنها لا تستطيع تصويب الحجارة على الدبابات، إنها لا تستطيع تصويب غطاء قنينة في سلة قمامة. الأرجح أنها سوف تموت".

الخوف كالعمى يكون صيغة من صيغ الوجود، أو ربما صيغة من صيغ العدم في عالم الرواية، تراه ينسف بنية الشخصيات ويغربها عن نفسها وواقعها، يدفعها إلى تخوم المواجهة مع الذات ومخاوفها ووساوسها وجراحها النازفة.

وتقدم العيسى في روايتها شخصيات معطوبة، قلقة، تائهة في بحار من الحيرة وفي حروب من المواجهات المحتدمة في دواخلها، تصبو إلى سكينة مستبعدة، وإلى هدوء محلوم به لا يكاد يطال، لذلك تمعن بالإغراق في سوداويتها وعتماتها، وتوغل في جلد الذات حينا وجلد الأمنة والأمكنة والآخرين في أحيان أخرى.

اللعبة الروائية

تشتغل صاحبة "حارس سطح العالم" على الذاكرة وما تنضح به من جماليات وما تختزنه من فجائع تشكل علامات فارقة في روايتها، تتكئ عليها برسم مسارات شخصياتها وتتقصى الدروب التي قادتهم من ضياع إلى ضياع أشد عتمة وإيلاما.

تسرب الروائية الحيرة التي تغلف شخصياتها إلى قرائها في الختام، وذلك في "ورقة لاصقة على مغلف"، إذ تثير الشكوك في كل ما كان وما هو كائن، تتوجه بطلتها مناير إلى خالتها، تخبرها أنها صارت تعرف بأن اسمها (الرواية) ليس مناير كما أن اسمها (المخاطبة) ليس فاطمة، وما من اسم هنا كما هو في الواقع، وتصف الأمر بأنه نوع من قلة الحيلة.

وقلة الحيلة هنا ليست اعترافا بعجز الخيال الروائي عن خلق عوالم بديلة أو موازية، لأن الروائية نجحت إلى حد بعيد في ابتكار عوالمها وتأثيثها بالوقائع والذكريات والتواريخ، بل هو نوع من الاعتراف بقلة حيلة الواقع نفسه ربما أمام محن التاريخ ومآسيه المريرة.

وتواصل العيسى لعبة الإيحاء والتخييل على لسان مناير التي تخبر خالتها في رسالة لن تصل، بحسب ما هو مفترض، بأنها تعلم أنها تريد معرفة ما حل بأخيها، وأنها تعتقد بأنها كتبت رواية كي تجيب عن سؤالها، رغم أنها لم تفعل.

وتمضي العيسى في ضخ الروح في الشكوك والافتراضات ودفع القارئ لتخيل سيناريوهات بديلة بقولها "ربما هذا ما حدث، أقول أحيانا. لكن لا بد وأن هذا هو ما حدث. أليس كذلك". وهنا حدوث الرواية من عدمه أمر مختلف، فالرواية حدثت وأحداثها دونت ووثقت وتمكنت من خلق عالمها المثير والغريب، والتشكيك يمنح خيوطا لبدايات لاحقة ولا يضع نقطة نهاية متوقعة، بل يبقي مثار تحفيز للبحث عما كان وما لم يكن، وإن كان عبر إبقاء دائرة اللعبة الروائية مفتوحة على التأويلات أو الاحتمالات.

وتغتني الرواية بالكثير من التفاصيل والتقنيات التي تضفي عليها أبعادا متجددة وتمنحها قدرة ومرونة وتميزا، وتضعها في لائحة الروايات المميزة المستلهمة لوقائع تاريخية بتخييل جمالي لافت، وبلمسة إبداعية جلية.

رف الكتب

مكيافيلية الزمن

يتناول الكاتب المغربي مصطفى إسماعيلي في روايته "تشكيلات على لوحة الزمن" أحداثا كثيرة وجوانب متنوعة في الحياة، إلا أنها وحدة متكاملة.

وحاول الكاتب من خلال عدد من الشخوص الذين يسكنون أو يعملون في فندق سان ميشال بالحي اللاتيني بباريس، وينتمون لثقافات وجنسيات وأوطان مختلفة، رصد المفاهيم الفكرية والأحاسيس الدفينة والهواجس التي تسكن دواخل الإنسان في علاقة جدلية ومركبة حول وجوده على هذه الأرض، وذلك بوضع تساؤلات حولها وتوصيفها بشكل عميق ينقل الكلمات إلى صور ناطقة أمام أعين القارئ.

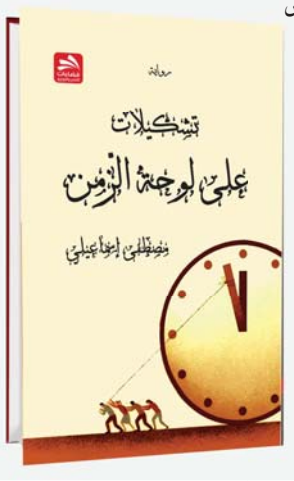

ويستعرض الرواية، الصادرة عن دار فضاءات للنشر والتوزيع في عمان، التيمة الأساسية في الرواية وهي "مكيافيلية الزمن" بشكل متداخل وملتبس مع التيمات الفرعية الأخرى "كعبثية الموت والأقدار، وشطحات الذاكرة وعتمة النسيان ووجع الغياب، والخوف واللاوثوقية، والفرح والاحتفالية والحب الكبير، وغيرها من مشاعر وأحاسيس إنسانية تتداعى في ظل المتغيرات الزمنية والمكانية".

رواية المدينة

تبدو رغبة الروائية اللبنانية هند مطر في إبداع رواية "المدينة" عبر عملها "امرأة من بيروت" الذي يعتبر رواية زاخرة بالأفكار والرؤى والأحوال والتعاسات والطموحات وما لا حصر له من التفاصيل، التي لا يمكن أن توجد بهذه الكثافة إلا في عمل روائي.

في هذه الرواية تكتب مطر التاريخ الخاص لمدينة بيروت وما شهدته من تحولات منذ الحرب الأهلية اللبنانية 1975 وحتى كارثة انفجار مرفأ بيروت 2020، فترصد المشهد السياسي من خلال "جيهان" بطلة الرواية، وما تحمله ثقل ذاكرتها عن وسط بيروت وعن عائلتها. فما بين استشهاد أبيها في الحرب الأهلية طفلة في بداية الرواية، واستشهاد أمها وأخيها في انفجار المرفأ في نهاية الرواية، تموت بطلة الرواية حية.

عبر هذا الخطاب الروائي تؤلف هند لحمتها النصية بين التاريخي والثقافي، دامغة أفقها بصبغة البحث المحموم عن "ماهية المدينة"، ومعدن عراقتها، وأصالة أهلها.

الوجود الأكثر غرابة

كل شيء عن رواية "الشرطي الثالث" لفلان أوبراين يكتنفه الغموض، بدءا بتأخر نشرها، وليس انتهاء بما جعلها تحفة تستحق المقارنة بالواقعية العجائبية لكافكا الذي كان أوبراين، وفقا لكاتب سيرته الذاتية، معجبا بأعماله وإن لم يعترف بذلك.

تبدأ قصة الرواية، الصادرة عن دار الرافدين في بيروت بترجمة إيناس التركي، بجريمتي قتل وسرقة يرتكبهما الراوي المجهول الاسم الذي ينوي استخدام غنائم الجريمة لنشر كتاب يتضمن تعليقاته على كتابات فيلسوف معتوه يدعى دو سيلبي افترض أن الأرض بشكل السجق، وأن الليل شكل من أشكال التلوث الجوي، وأن الزمن والحياة مجرد هلاوس.

من تلك اللحظة فصاعدا، تصبح الرواية، التي تنتمي إلى الكوميديا سوداء وتتناول طبيعة الزمن والموت والوجود أكثر غرابة، إذ يجد الراوي نفسه في بعد بديل، أما النقطة الأكثر إثارة للدهشة فيدخرها الكاتب للخاتمة، حين يكتشف الراوي حقائق مربكة حول وضعه الميتافيزيقي.

المونولوج والتقوقع ثقافة ضد السؤال والحوار

المشروع النهضوي فشل والمثقفون صاروا يهادنون بعضهم بعضا في خضوع وطاعة

رغم أن عصر النهضة العربية قد شهد العديد من السجالات والحوارات الثقافية المؤسسة في الحداثة العربية، وكان لها تأثيرها المستمر إلى اليوم، فإننا اليوم نعاني من غياب شبه كلي للحوار والسجالات سواء في المستوى الاجتماعي أو الثقافي، إذ لم نعد نجد مثقفين أو كتابا ينقدون بعضهم بعضا لخلق أفكار جديدة، ولم نعد نشهد تلك السجالات الثرية بين الأفكار والكتابات، وكأنه نوع من النكوص الحضاري، وهو ملف حاولت فتحه مجلة "الجديد" الثقافية.

ذوات لا تحاور إلا نفسها (لوحة للفنان فؤاد حمدي)

ممدوح فراج النابي
كاتب مصري

استهل رئيس تحرير مجلة "الجديد" الشّاعر نوري الجراح، عدد (85) فبراير 2022، بمقالة احتفائية ورثائية في الوقت ذاته؛ احتفائية بدخول المجلة عامها الثامن بعد أن قطعت مسيرة طويلة اعتورتها صعوبات متعدِّدة، ومع هذا استطاعت المجلة بفضل إدارتها ونخبة من كتابها أن تتجاوزها، وتقف صلبة في مواجهة مثل هذه العقبات التي كانت هي الأخرى بمثابة تحدٍّ للاستمرار، والإصرار على الرسالة التي تبنتها وجعلتها شعارًا لها منذ بيان التأسيس "بطرح الأسئلة الأصعب، وتحرير مساحات من الوعي العربي بالذات".

وهو ما وضع المجلة – مع حداثتها – في مصاف المنابر التنويريّة الكبرى الجادّة بما تحمله من رؤى وأفكار وأسئلة مُتعلِّقة بواقع ثقافتنا ومستقبلها دون انفصال عن ماضيها الذي يعدُّ هو الركيزة الأساسيّة، والبوصلة التي توجه مسارنا إلى الغد، والأهم أنها استطاعت أن تستعيد الفكر التنويري والنهضوي الذي صاغته وبلورت أفكاره المنابر الثقافيّة التي كانت علامات في ثقافتنا مع مطلع القرن الماضي.

> حالة العزوف عن الحوار والسِّجال قد تكون نتيجة لتأزم الوضع السياسي وانسداد أفق التعبير والهشاشة الثقافية

فهو فَرِحٌ بهذا الإنجاز الذي استمرّ على مدار أعوام سبعة ماضية، رقشت فيها مجلة "الجديد" كل الأسئلة المحظورة والممنوعة والمخبوءة، آملة في إجابات تتسق مع رهان المجلة وطموحاتها التي انطلقت مع بيان التأسيس في فبراير من عام 2015. أحد أهداف المجلة الطموحة التي سعت لها هو تحرير الثقافي من هيمنة السياسيّ تارة، والفكر الأبوي المتسلط على الثقافة تارة ثانية من أجل "تقديم الأصوات والتجارب الأدبيّة والنقديّة الجديدة وتمكين أهل الفكر من تجديد أسئلة الثقافة"، هكذا كان الرّهان الذي عملت عليه المجلة طوال السنوات السبع، وفي ظني حتى مع نبرة اليأس والحزن البادية على رئيس التحرير في مقاله الافتتاحي "هواء الكلمة الحرّة، ورئة الأدب"، فبصفتي قارئًا ومتابعًا للمجلة، وفي أحايين كثيرة مشاركًا بالكتابة في ملفاتها التي تطرحها في كل عدد، أو بمواد مستقلة، أقول إن العنوان الذي اختاره رئيس التحرير للافتتاحية لهو التعبير الحقيقي لمسيرة المجلة وواقعها الفعلي طيلة السنوات السبع الماضية.

فاتسمت المجلة بديمقراطية نادرة المثيل في ظل ظرف نادر واستثنائي، وفي الوقت ذاته معيق ومُكبِّل إلى أبعد الحدود، فكانت المجلة هي المجال/الفضاء الحرّ للكلمة تَعْبُره وتعبّر بها دون قيود وشروط أو خطوط حمراء ممنوع تجاوزها، أو حتى الالتفاف حولها، بل على العكس تمامًا، فتحت الأبواب على مصراعيها للكتابة وأحيت ما كان سمة للثقافة العربية في عصور نهضتها وريادتها، أقصد السّجال الثقافي، وراح رئيس التحرير يُحرِّض طورًا، ويدفع تارة ثانية إلى الدخول في المعترك السجالي، إلا أن الأيدي ظلت مكتوفة، إلا في ما ندر، وهو السؤال المحيّر؟

وهنا تبزغ نبرة الحزن والرثاء وسط حالة الابتهاج والاحتفاء، فكل محاولات التحريض والحثّ إلى/على إثارة الفكر والوعي النقدي، والأهم إثارة ثقافة السؤال والاختلاف باءت – باستثناء القليل – بالفشل، على الرغم من أن الدعوة كانت مفتوحة منه لـ"كسر الحواجز بين الأجيال، وحضّ الكاتبات والكتاب على اختلاف مشاربهم ومرجعياتهم على مغادرة خنادق العزلة والتناكر بين الأجيال الأدبيّة المختلفة (وهو ما حكم العلاقات بين الكُتاب والمثقفين في ظل خلل اجتماعي وسياسي مزمن، وهيمنة للفكر الأبوي لم تتخلص من تبعاتها حتى التيارات التحديثية)، واستبدال ذلك بخوض حوار تتشارك فيه أجيال الثقافة يقوم على احترام الاختلاف، والتفاعل بين عناصره، ولا ضير في أن يكون ذلك من خلال منظور نقدي. بل إن هذا المنظور هو أحد شروط اللقاء والحوار والتفاعل، كما أكدت التجربة".

العزوف عن السجال

يعترف الجرّاح – بحزن ممزوج بألم – بأن دعوة حملة الأقلام العرب (من المفكرين والأدباء) إلى الحوار والسجال على صفحات المجلة "لم تكن سهلة" بل – في تأكيد قاطع – "كانت وما تزال شاقة إلى أبعد الحدود"، هذا الاعتراف المصحوب بخيبة أمل واستنكار يثير أسئلة كثيرة من قبيل: ما أسباب هذه التخوفات من إبداء الآراء في نتاجات أقرانهم، أو محاورتهم في أفكارهم؟ ومن المسؤول عن حالة العقم الفكري التي أصابت الجميع، فلم تعد المطارحات الفكرية والسجالات ذات أهمية في ثقافتهم، لا على مستوى الكتابة فقط، بل مجرد المشاركة في السجال بإبداء الآراء؟ وما العوامل التي ساعدت على تنامي هذا الإخصاء الفكري – لو جاز المعنى – في وادينا الطيب؟

ومن ثم ما البديل لتحفيز العقل العربي للدخول في معترك السجال، وتنشيط ثقافة السؤال وما يتبعها من مغايرة واختلاف؟ كيف السبيل إلى إثراء الوعي الفكري والنقدي؟

هذا الغياب لثقافة الحوار والسجال يؤكد في ما يؤكد فشل المشروع النهضوي الذي دعا إليه الرعيل الأول من المفكرين والأدباء الذين اتصلوا بالآخر، ولم يقعوا رهينة الاتّباع والتقليد، وإنما عملوا على خلق حوار خلّاق وبنّاء معه، بهدف استثمار منجزه الفكري والتنويري في إثراء ثقافتنا العربيّة، وتنمية وعينا النقدي والفكري. وهذا الفشل ما هو إلا تجسيد حقيقي لشيوع ثقافة المهادنة القائمة على الخضوع والطاعة، والتي هي نتاج الدكتاتوريات السياسية، والأبوية الثقافيّة، بما تبنته الأخيرة من سياسة التدجين، والإخصاء بالمعنى المجازي، وهو ما ولّد جيلاً بل أجيالًا تابعة لا تُعْمل العقل، وهو ما كان سبب أزمتنا التي جعلت البعض يبحث عن أسباب التخلّف الذي صرنا فيه.

كما يستدعي في أحد جوانبه مساءلة حقيقية وجادّة لمفهوم النخبة، بما يستدعيه المفهوم – لما يحمله من خصوصية تقرنه بمفهوم المثقف العضوي عند غرامشي – من مقارنة بين المفهوم ذاته في الأجيال السّابقة، حيث استطاع هؤلاء مع بداية القرن الماضي أن يتمثلوا المفهوم تمثّلاً حقيقيًا، فرأينا سجالات طه حسين وعباس محمود العقاد، وقبله طه حسين ومصطفى صادق الرافعي، ثم محمد فريد وجدي مع إسماعيل أدهم، ولويس شيخو وأنستاس الكرملي، وأمين خالد ولويس شيخو، وأحمد زكي باشا ونقولا حداد، وسلامة موسى وساطع الحصري... وغيرهم ممن كانوا يتبارون في السجالات الفكرية التي كانت تتمحور حول الكثير من القضايا على نحو: اللغة العربية والعامية والفصحى، والإقليمية في الأدب، والأدب المهموس والصادق، والدفاع عن البلاغة، والعرب وماضيهم والعلم والدين، ومستقبل الثقافة، والاستشراق والتراث اليوناني وغيرها من قضايا، وغيابها يشير إلى العقم الفكري، وربما هو المعنى الذي تحوّط الجراح من ذكره صراحة.

عدّ الجراح حالة العزوف التي أبداها أهل الفكر والأدب عن التفكير – مجرد التفكير – في ضرورة الحوار "تعبيرًا عن نوع غريب من التقوقع على الذات والاكتفاء المرضي بما لديها، وعن يأس، ربما، من الآخر، وشكّ في الذات أيضًا، محمول على خوف من أن يقحمها الحوار في امتحان يعرّي أعماقها، ويكشف عن خلل تستشعره ولا تقوى على مواجهته".

أتفق معه تمامًا في هذا التشخيص لحالة العزوف التي بدت كردة فعل على دعوات الحوار والسّجال، وإن كنت أعتبرها – من جانبي – تعبيرًا عن حالة فقر وخواء فكري، فكما يقول المثل "كل إناء بما فيه ينضح"، فالتخوّف له أسبابه الأخرى، التي تكشف – في أحد جوانبها المضمرة والتي بالاحتجاج والحجاج والمحاورة ستنكشف – هشاشة هذه الثقافة التي يحملها أهل الفكر والأدب هؤلاء – في كثير منهم – إضافة إلى حالة التطاوس التي صار عليها الأدباء، فهم لا يلتفتون إلى ما يكتبه الآخرون، فمحور أحاديثهم وقراءاتهم متعلّق بذواتهم التي تضخمت، ولا نعرف لماذا؟ هذا التباهي الطاووسي مع الأسف جعل الذات منغلقة على أناتها، غير قابلة للانفتاح على الآخر والاستفادة من تجاربه، بل صارت التجارب الإبداعيّة على تعددها (شعر ورواية) مكرورة، لا فرق بين ما ينتجه زيد أو عبيد؛ فالجميع يدورون في دائرة أو حلبة واحدة، هي دائرة الذوات المتضخمة، ومع الأسف متضخمة بلا سبب حقيقي.

حالة العزوف عن الحوار والسِّجال، قد تكون نتيجة طبيعيّة لتأزم الوضع السياسي، وانسداد أفق وطاقات التعبير، وهو ما كان له مردوده على مستوى الفكر والأدب، فما غرسته السياسة، وفعلها القبيح، أثمرته الثقافة خوفًا وريبة وعدم ثقة في الآخرين، ومن ثم فلا مناص إلا الارتداد إلى دائرة الذات، والانغلاق في بوتقتها، وهو الأمر الذي يحتاج إلى ممارسات جديدة تعيد إلى الذات ثقتها في نفسها أولاً وفي الآخر.

المراجعة والمساءلة

مع عددها الأول في سنتها الثامنة (العدد الخامس والثمانين فبراير 2022)، لم تتوانَ "الجديد" عن طرح السؤال والحوار، فحمل العدد ملفًا عن السنوات السبع الماضية شارك فيه نخبة من كتابها (نادية هناوي، عبدالرحمن بسيسو، ممدوح فرّاج النّابي، أحمد برقاوي، عائشة بلحاج، وارد بدر السالم، مفيد نجم، عواد علي، هيثم حسين، مخلص الصغير، آراء عابد الجرماني، محمد ناصر المولهي، باسم فرات، غادة الصنهاجي وعمارة محمد الرحيلي) وأهم ما تتسم به هذه الأسماء التي وضعت مسيرة المجلة طيلة السنوات الماضية، تحت دائرة المساءلة والمراجعة والمحاسبة في ضوء مانيفستو التأسيس، والذي ابتغت فيه (أو ألزمت به نفسها) أنْ تَكون "منْبرًا عربيًا لفكرٍ حُرٍّ وإبداعٍ جديدٍ"، أنها أسماء تنتمي إلى أجيال مختلفة، وجغرافيات مختلفة، وأيديولوجيات مختلفة، واتجاهات أدبية وفكرية مختلفة، وخلفيات علمية متعدّدة، مما يعطي ثراء وتنوعًا للقراءات، وفحصًا دقيقًا، ومن ثم جاءت القراءات تشمل المضمون الفكري والإبداعي، والشكل الجمالي الذي اتسم بالفرادة مقارنة بباقي المجلات، سواء في صيغتيها الورقية أو الإلكترونية.

ومع اختلاف الأجيال والثقافات والأيديولوجيات إلا أن كليهما (جيل الكبار والشباب) اتفقا على ما تميزت به المجلة من خصال يمكن أن نبرزها في الآتي، قوة الأفكار وعمقها، وجدة المعالجات والطرح، وغياب العنصرية والاحتكار، فجميع الفنون من شعر ورواية وقصة ومسرح وسينما وفنون تشكيلية، وغرافيكي، وحوارات ومقالة، متجاورة ومتساوية على صفحاتها، إضافة إلى اتساع أفق المجلة لكافة الآراء، واستيعاب كافة أشكال التمرد والمغامرات التجريبية على كل الأصعدة.

> مجلة «الجديد» نفّت السّجال على صفحاتها بطريقة غير مباشرة ليس دفعًا أو تحريضًا بل كمغامرة تحفيز على الكتابة

الأفكار المطروحة التي أثارها الكُتّاب (على اختلاف أجيالهم) في مقالات هذا الملف تدخل في باب النقد والمراجعة لمسار المجلة خلال سنواتها السبع، إلى جانب كونها أطروحات حول حاضر الثقافة العربية في علاقتها بـ"المنبر الثقافي"، هي محاولة للإجابة عن سؤال مجهول أو مضمر مفاده؛ لماذا استمرت المجلة في ظل شروط اللحظة الراهنة وما بها من تعقيدات وعثرات بعضها بفعل الطبيعة (كجائحة كورونا) وفي الوقت ذاته إجابة مضمرة عن أسباب البقاء والاستمرار مع تعقد الأزمات وغياب العقل النقدي؟

فالهدف الحقيقي من وراء المقالات (فهي متنوعة ما بين التقييم النقدي والشهادات والآراء والتجارب الشخصية) ليس المديح أو الإطراء على صُنّاعها (وهم أحق به وأجدر)، بقدر ما هو المساءلة والمراجعة والتقييم، في جانب من جوانبه، وتجديد العهد، وزيادة سقف الأمل بالقادم بمواصلة المسيرة، والحثّ على المزيد من الطموحات في جانبه الثاني. ومن هنا نرى أن معظم كتاب الملف تطل إحدى عيونهم على واقع المجلة وما حققته بالفعل من تجديد وتثوير، وما حثت عليه من مغامرة وابتكار، والعين الأخرى ترنو إلى المستقبل لاستشراف مآلاتها، واستكشاف مغامرتها الجمالية والتعبيرية الجريئة. وما تتطلع إليه من موضوعات وقضايا ومحاور وملفات، وقبل هذا أسئلة.

فيسعى الدكتور عبدالرحمن بسيسو في مقاربته "خصوبة سابوعيّة" بما تحمله دلالة الخصوبة من تجدد واستمرار، لمساءلة السنوات السبع في ضوء بيان التأسيس الذي حدّد مكوّنات هُويّتها التنويريّة الرؤيويّة والجماليّة التي شرعت أعدادها المتوالية في ترجمتها على مستوى النصوص المكتوبة واللوحات التشكيليّة وغيرها؛ بادعائها أن تَكون "منْبرًا عربيًا لفكْرٍ حُرٍّ وإبداعٍ جَديدٍ"، وهل بالفعل تُحقّق ما أملته المجلة في بيان تأسيسها، أم أنها خرجت وحادت عن المانيفستو؟ ومن خلال مقارباته وقراءاته (وكذلك مقارناته) لأعداد مختلفة من المجلة، فهو لا يخايله أدنى شك في نجاح المجلة في ما سعت له، بل يقطع بأنها حسب قوله "جلّت وفاءها المُطلق لهُويّتها التي بلورها بيانُها التّأسيسيُّ"، فكانت "موئلاً جامعًا للقاء الأفكار وحاضنة خصبة وصالحة لاستكشاف الأسئلة الجديدة والمُغامرة الأدبيّة والفكريّة المُقبلة"، فكانت هي المعين الذي يصب فيه كل جديد ومهادًا للمغامرة ولكل مبتكر، دون أن تكف وهي تؤدي واجبها عن "احتضان الكتابة الجديدة، والتّسليم بحريّة الكاتب، وجرأة البحث، وحوار الأفكار"، ولا عنْ "حَضّ الكُتّابَ على مباشرة سجال حول شتّى القضايا الشاغلة في الفكر والأدب والفن والاجتماع، وعلى الإسهام الفَعّال في مسيرة الانتقال من – كذلك – المَجلّة الأجدر بالبقاء، والتّجدُّد، ومتابَعَة الوجود"، وإن كان رهانه هذا باقيا ومستمرا "طالما ظلّ في الوجود جديدٌ يُنشَدُ، ويُرهَفُ السَّمْع لالتقاط نداءاته الحفّازة، فيُنهَضُ الوعي الإنسانيُّ الخلّاق لنُشْدانه، ولإنْهاض حَراكاته إدراكه الوطنيّ والإنْسانيّ الجمعي، تلك الكفيلةُ بتجلية وجوده واقعاً يَتحقّق في بلاد العرب، وفي بلاد كُلِّ النّاس في شتّى بِقاع الأرض، وأحيازِ العالم".

بوتقة الأفكار المتمردة

يتفق المثقفون في قيمة المنجز الفكري والأدبي الذي قدمته المجلة خلال رحلة مسيرتها السابقة (السابوعية) فقد اعتبرتها غادة الصنهاجي "رحلة نور يبدّد بعض الظلام المعرفي الذي ما انفك يتراكم سواده في العقول مع تراجع الإبداع ونقصان الاهتمام بما تنتجه الأفكار"، أما نادية هناوي فرأت أنها رسخت "الفكر المنفتح الحرّ المؤمن بالتعدّد والاختلاف فلا شللية ولا منبرية، بل صوت عام لا يعرف احتكارًا باشتراطات وولاءات معينة كما لا يعترف بنخبويّة تتعكز على أسماء معروفة وتجتر أقلامًا بعينها من دون غيرها فتستكتبها".

أما هيثم حسين فيرى المجلة أنها بمثابة البؤرة المركزية التي استقطبت الأصوات المهاجرة، والنائية والمهمشة (الحركات الشعبية في البلدان العربية)، وكذلك الأصوات الجديدة، وهو ما يشاطره فيه الرأي محمد ناصر المولهي وعائشة بلحاج، فعندهما المجلة كانت بمثابة البوتقة التي استوعبت تجارب أجيال مختلفة، وجغرافيات متنوِّعة، والأنواع الأدبية جميعها بلا استثناء، وإن كان هيثم حسين يضيف بأنها صارت أحد حرّاس الذاكرة الأدبيّة (وما يرتبط بهويتنا)، في ظل عالم ينحو إلى الإغراق في السرعة، فيسعى لتمييع كل شيء، وكأن غرضه "محو ذاكرة الأجيال"، في إشارة إلى قطع اتصالها بماضيها، وهو ما عملت عكسه أو ضده المجلة.

وقد نفّت مجلة "الجديد" السّجال على صفحاتها بطريقة غير مباشرة، ليس دفعًا أو تحريضًا (كما سعى رئيس التحرير بمحاولات استثارت أصحاب الفكر والأدب)، بأن كانت بمثابة المغامرة في التحريض على الكتابة، وتغيير النظرة إلى الفنون، فكما يشير أحمد برقاوي في مقالته "تجديد السّؤال" بأن المجلة حرضت "الكتاب المهمومين بالحرية"، لأن ينظروا إلى التاريخ "من زاوية المثقف الكاتب، لا من زاوية الأكاديمي الكسلان"، وأيضًا بما خلقته من ليبرالية واختلاف مع الآخر بدون تجريح، فأثارت السجال من زاوية أخرى، فعلى صفحات المجلة سعى – أي برقاوي – للدفاع عن ضرورة حضور الذات، بل وأعلن ولادة الذات في مغايرة للنظرية الغربية التي أعلنت وفاة الذات، ومن ثم صار السّجال مع ثقافة أخرى غربية قلدها البعض، وكرر مقولاتها، في مخالفة لسياق وواقع عربي له رهاناته الخاصّة، وبذلك صارت الذات على صدر "الجديد" بمثابة الفاعل، وقد خرجت من الكهف لتقيم العلاقة بين الحرية والإمكان.

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

فيلم «الممزق».. استدراج مميت لرجل أعمال ينتهي بكارثة

الثقة العمياء بفتاة عابرة توقع رجل أعمال في مأزق

تبدو قصص الجريمة والشخصيات السايكوباثية علامة فارقة ومميزة في مسار الدراما الفيلمية لقدرتها على اجتذاب المزيد من الجمهور وكونها تفتح أفقا للتشويق وتوقع المفاجآت والاندماج مع الشخصيات الاستثنائية التي تشكل علامة فارقة في هذا النوع من الأفلام الذي ينتمي إليه فيلم "الممزق".

طاهر علوان
كاتب عراقي

يقدم لنا فيلم "الممزق" للمخرج الإسباني لويس بريتو تلك الوصفة المعهودة لفيلم الإثارة الذي نترقبه بكل ما يختزنه من مفاجآت وتحولات، لاسيما وأنه يرسم شخصياته ومساره السردي بكثير من الحرفية المعهودة في النموذج الهوليوودي لهذا النوع من الأفلام، وخلال ذلك هنالك مساحة مديدة للتوقع والمفاجآت غير المتوقعة والتحولات في مسار الشخصيات.

وهنا سوف نتوقف عند كريس ديكر (الممثل كاميرون موناغان) وهو الشخصية الرئيسية في هذه الدراما الفيلمية، فهو الشاب الثري المتخصص ببرامج الحماية الأمنية باستخدام التقنيات الحديثة وهو يعيش في ضاحية معزولة وحيدا بعد مباشرته إجراءات الطلاق من زوجته جامي (الممثلة ساشا لوس) فهو على خلاف معها ولم يعد يربطهما سوى طفلة يجري تنظيم زيارة لها لوالدها بين حين وآخر.

على الجانب الآخر هنالك الفتاة سكاي (الممثلة ليلي كروغ) التي تعمل نادلة في مطعم وتعيش في تلك الغرف الصغيرة في نزل بصحبة صديقتها ليزا (الممثلة اش سانتوس) وهما تمثلان الخط الموازي لشريحة اجتماعية مقابلة تعيش على الهامش وتعاني من العديد من المشكلات والتحديات بما يقرب الفتاتين من بعضهما ويجعل لدى كل واحدة منهما ما توفر من الدعم النفسي للأخرى خاصة أن ليزا تعاني من العديد من الاضطرابات النفسية التي تجعلها رهينة علاقتها مع سكاي.

علينا ألا نصدق ما نراه وما هو ظاهر

السقوط في الفخ

وفق هذا المسار يمكن أن تنبثق لحظة يلتقي فيها كريس مع سكاي بشكل ما وتنشأ بينهما صداقة ابتداء من منتصف الليل، وهو الوقت المناسب بالنسبة إليه للتسوق، ليجد سكاي في ذات الوقت وهي إشارة مباشرة لفكرة العزلة التي تعبر عنها شخصية كريس في انعزاله من جهة واحتياطه الأمني من جهة أخرى.

من هذا المسار السردي المستجد سوف تنشأ العلاقة الجديدة بين كريس وسكاي، لاسيما أن هذا النوع من العلاقة يكون قد ملأ فراغا عاطفيا ما يعاني منه كريس بعد إجراءات طلاقه، لكنه في المقابل يبالغ في رد فعله ومنح الثقة العشوائية للفتاة التي لا يشك في براءتها، ولهذا تتمكن من التغلغل حتى في النظام الأمني الذي يعتمده في منزله المصمم على أساس الذكاء الاصطناعي.

ربما لا يتاح لجمهور المشاهدين حيز من التوقع السلبي نظرا إلى البراءة التي تنضح بها ملامح سكاي وعدم التوقع أنها قاتلة محترفة ومتآمرة خطيرة، وهي فرضية تبدو أقرب إلى الخيال، لكن ذلك ما سوف يكون ساعة أن يسقط كريس في ذلك الفخ غير المتوقع والذي ما يلبث أن يدفع ثمنه لاحقا.

وفي مشهد مصنوع بعناية ويندرج في تلك اللقاءات الروتينية بين سكاي وكريس سوف يسألها عن صديقتها ليزا لتخبره بكل برود فيما هي تلتهم الطعام قائلة إنها قد قامت بتصفيتها، ومن هنا تشتعل شرارة الحرب بينهما، ويكون كريس خلال ذلك قد تمت تهيئته بكسر ساقه من طرف شخص تابع لها وهي مفاجأة أخرى إضافية بل صدمة تفتح مسار الدراما إلى ذروة المواجهة.

تحول درامي

أتاح هذا النوع من المعالجة والبناء الدرامي للمخرج وكاتب السيناريو أن يشتغلا على الكثير من الحبكات الثانوية التي عززت البناء البوليسي ودراما الجريمة وهو ما سوف تترتب عليه الكثير من المفاجآت والمواقف غير المتوقعة فضلا عن الشد والترقب.

ومن ذلك مثلا المحاولات المتكررة من طرف كريس للخروج من ذلك الطوق الذي يمثل النظام الأمني للمنزل والذي صنعه بنفسه، ليتحول إلى عائق أمامه للفرار، لكن حتى وهو يقوم بتلك المحاولة فإنه سوف يصادف من ينقذه في الطريق وعلى أمل أن يوصله إلى مركز الشرطة لكن ذلك المنقذ لن يكون إلا سيباستيان (الممثل فرانك غريلو) زوج أم سكاي الذي سوف يكمل المهمة في ترويع كريس وخلال ذلك انتزاع ثروته تحت التعذيب، وهي الأجواء الكافية التي سوف تتكشف من خلالها الشخصية الإجرامية الخطيرة لكريس لكونها مجرد فتاة شبه متشردة تعاني من علل نفسية واجتماعية من جراء حياة في أسرة مفككة وأطماع لا تكاد تنتهي.

في المقابل هنالك دور رونالد صاحب النزل (الممثل جون مالكوفيتش) وهو دور على بساطته إلا أنه بدا مكملا لتلك الدراما لاسيما وأنه دائم التلصص على الفتاتين وهو ما سوف يساعده لاحقا في اكتشاف الناظور المقرب الذي اتضح في ما بعد أن سكاي كانت تراقب من خلاله كريس وتعلم كل التفاصيل عن حياته اليومية وهو ما أتاح لها النفاذ من خلال ثغرة الفراغ العاطفي وتوقيت مجيئه لغرض التسوق وافتعال لقاء التعارف معه لكن المفارقة أن تكون ابنته الصغيرة هي المنقذة لوالدها بإطلاق رصاصة النهاية التي سوف تقتل سكاي وهو تحول درامي لم يكن متوقعا.

البناء البوليسي ودراما الجريمة سوف تترتب عليهما الكثير من المفاجآت والمواقف غير المتوقعة فضلا عن الشد والترقب

البحث عن وصفة سحرية لنجاح الأفلام

يتسابق منتجو الأفلام نحو جمهورهم مسنودين بمؤسسات وشركات إنتاجية تنفق المليارات للفوز بعقول وقلوب المشاهدين.

وحتى الساعة بقيت غامضة أسرار الصنعة التي تجعل فيلما ما ناجحا ويحقق أرباحا طائلة وفيلما آخر بالكاد يجد له موقعا في المنافسة، كما ظلت موضع جدل، يا ترى أين يكمن السر في التمويل والإنتاج الضخم أم في جودة التمثيل أم في جماليات التصوير أم غير ذلك؟

بالطبع كل تلك العوامل والأسباب من الممكن أن تلعب دورا في صعود الفيلم وتفوقه أو قل نجاحه المعقول، ولكن قبل كل هذا وقبل كل شيء هنالك ما يرد نجاح الفيلم وفريق الفيلم إلى جذب الجمهور، ومن هنا يكون منطلق الجذب والتأثير في عقول وقلوب المشاهدين.

تلك بديهية تبدو بسيطة كان قد أشار إليها المخرج الكبير ألفريد هتشكوك عندما سئل عن عناصر النجاح في صناعة الفيلم، فقال إنها ثلاثة وهي السيناريو السيناريو السيناريو.

في المقابل هنالك منتجو الفيلم ممن لا يقلقهم من إنتاج فيلم سوى التقنيات وكيفية الحصول على أقصى حد من جمالية الصورة، وهم بالتأكيد سوف يتوصلون عاجلا أم آجلا إلى قناعة راسخة أن الأمر لا يتعلق أبدا بالتقنيات وجماليات الصورة بل بالقدرة على اجتذاب الجمهور وأن تريه الصورة المليئة بالحياة وغزارة التفاصيل والمعلومات ما يكفي لكي يتفاعل مع الفيلم.

مهما كان الموضوع عظيما ومهما كانت القصة السينمائية تحمل معلومات مهمة فإن كل ذلك ليس كافيا لاجتذاب الجمهور

هذه المرحلة الحاسمة في النجاح الفيلمي تنطلق أولا من المشاهد الأولى وهي المرحلة التي يقع فيها التعارف بين المشاهد والفيلم المعروض أمامه، وهنا يكمن الخلل المتكرر وخلاصته أن إهمال المشاهد وتركه يتابع حتى يتسرب إليه الملل ثم يترك الفيلم هو أول المشكلات في قتل تلك الجاذبية المتجددة للفيلم.

المشاهد الأولى هي إحدى أهم العلامات الفارقة التي تحقق التفاعل الخلاق والمتجدد مع المشاهد وبينما يظهر لبعض كتاب السيناريو أن الأمر برمته يحتاج وقتا أطول ولهذا تتوالى المشاهد تباعا بينما المشاهد المسرع والمتثاقل من الإيقاع البطيء للفيلم يكون قد وصل إلى نقطة السأم مما يشاهد من رتابة وتكرار وإيقاع بطيء يبعث على الملل.

مهما كان الموضوع عظيما ومهما كانت القصة السينمائية تحمل معلومات مهمة فإن كل ذلك ليس كافيا لاجتذاب الجمهور ما لم تكن المنطلقات الأولى صحيحة وما لم تكن المشاهد الأولى من القوة والبلاغة ما تجعل المشاهد متفاعلا مع الأحداث ومعلقا عليها.

في المقابل تتباين أساليب المخرجين ومنهم من لا يعطي أهمية ولا اعتبارا لتلك المشاهد التعريفية بالغة الأهمية، والتي من خلالها سوف يتولى المخرج التعريف بالشخصية والمكان والزمان وانطلاق الأحداث ولربما الانطلاق من ذروة مهمة كمشاهد الحوادث والكوارث أو المواقف المصيرية، ثم يلي ذلك تحليل الظاهرة من جميع جوانبها.

ولأن مساحة الجاذبية مفتوحة على شتى الاحتمالات لهذا يتفنن كتاب السيناريو في كيفية الانطلاق بالفيلم منذ المشاهد الأولى إلى اجتذاب الجمهور العريض وهي علامة مهمة من علامات الاحتراف ونقطة جوهرية في رسم المسار الفيلمي من خلال الخطوط السردية المتوالية.

هذا الترابط الفكري والمعنوي والحسي والجمالي هو الذي يكرس له إنجاز الفيلم مساحة مهمة ومن خلال ذلك تظهر كفاءات المخرجين وكتاب السيناريو ولاحقا نستطيع أن نميز بين البارعين والمهرة في الاستجابة الواعية لمتطلبات الجمهور العريض وبين من يفتقرون إلى الموهبة الرصينة والقدرة الإبداعية.

ولنمض مع مجمل هذه الجوانب والمعطيات المهمة التي نريد من خلالها الوصول إلى تلك القاعدة الذهبية المرتبطة بالقدرة على اجتذاب الجمهور والرد على الباحثين عن وصفة سحرية، والجواب حقيقة أنه لا توجد وصفة سحرية وإنما هنالك مساحة التجربة والخطأ والتعلم من الأخطاء فضلا عن مراقبة التجارب الرصينة عن كثب..

* ط.ع

«الظل في عيني».. حكاية مؤلمة لقصف مدرسة النازيين المزعومة

ما تزال قصص الحروب وخاصة الحرب العالمية الثانية من القصص المفضلة التي تجد فرصتها في العديد من الأفلام السينمائية وخاصة تلك القصص الأكثر إنسانية وعاطفية والتي تحكي تفاصيل الحياة غير المرئية والعذابات التي كانت قد واجهتها شريحة من الضحايا وخاصة العائلات والنساء والأطفال.

ويقدم فيلم "الظل في عيني" للمخرج الدنماركي أولي بورميدال قصة مأساوية وإنسانية مؤثرة ما هي إلا صورة مقربة وقصة واقعية عن حادثة الإجهاز على مدرسة ابتدائية في العاصمة الدنماركية إبان الاحتلال النازي وعن طريق الخطأ على أساس الظن أنها تضم مقرا للاستخبارات النازية.

يبدأ الفيلم من ثيمة مهمة ومؤثرة وهي ثيمة الأطفال ضحايا الحرب والذين يجدون أنفسهم في مواجهة هول شاسع ولا حدود له وهمجية تقتلع الناس من جذورها وتلقيها في جحيم الحرب بلا أدنى رحمة.

في المشاهد الأولى هنالك الفتى هنري (الممثل بيترامبيسغارد) الذي سوف يظهر راكبا دراجته الهوائية عبر الحقول ليشهد كارثة قصف طائرة عسكرية سيارة تحمل ثلاث فتيات وسائقهن العجوز فتمزقهم جميعا ويكون المشهد بمثابة صدمة هائلة بالنسبة إلى هنري تنتهي به إلى العجز عن الكلام من جراء الصدمة.

لم يكن هنري إلا شاهدا على فظاعة الحرب بكل أبعادها وهي تتغلغل حتى إلى مستوى القرى النائية، لكن ها هو قد أسس لتحول حاسم من خلال فشل محاولات والدته دفعه للكلام وكذلك فشل الطبيب النفسي لأن كل ما كان يريد أن ينطق به ويرويه هو قصة مقتل الفتيات أمام عينيه لكن الحل سوف يكون بإلحاقه بمدرسة في كوبنهاغن برعاية خالته.

على الجانب الآخر تكون الحرب الطاحنة مشتعلة بينما تتولى قوات بريطانيا العظمى الجوية حماية سماء الدنمارك والمساعدة في تنفيذ الحملات الجوية وواحدة منها عملية قصف مقر للنازيين في قلب كوبنهاكن، وهو ما يجري الإعداد له بينما تمضي قصة الفيلم في تتبع نماذج عديدة من الشخصيات.

هنالك بالطبع من شوشت الحرب عقولهم فضاعوا تحت ضغوطها ومنهم فريديك (الممثل أليكس هندرسون) الذي أصبح شرطيا عميلا لصالح النازيين وهم يتصيدون المقاومة الدنماركية وهو الذي يقدم لنا تلك الشخصية المضطربة بالتزامن مع نظرة الكراهية التي يكنها والده له بوصفها خائنا.

وفي موازاة ذلك هنالك الحياة اليومية للطلاب والتلاميذ الذين يمضون يومهم في ذات المبنى الذي تم ترشيحه للقصف بدعوى أنه مقر للنازيين، بينما هو في الحقيقة ليس إلا مدرسة ابتدائية، فيما يشهد أولئك الأطفال بين حين وآخر ما هو مروع من عمليات ملاحقة للمقاومين وإعدامهم في الشارع وهو ما سوف تعيشه الطفلة ريغمور (الممثلة ايستر بريش) وهي تشهد مقتل مقاوم في الشارع مما يشكل صدمة بالنسبة إليها تجعلها عاجزة عن تناول الطعام.

تستحق الطفلة ريغمور والفتى هنري علامتين فارقتين في هذه الدراما الفيلمية المروعة فمن خلال نظرتيهما وما عاشاه من أهوال الحرب سوف تتجسم أمامنا مهارات مبكرة وأداء متميز لاسيما مع تدمير المبنى وما تبعه من محاولات إنقاذ وما يقوم به هنري من تسجيل لأسماء الضحايا أو المصابين والذهاب بها إلى مسرح المدينة لإخبار العائلات التي تنتظر معرفة مصير أبنائها في أجواء من الترقب والرعب.

تلك الرحلة التي يقطعها هنري طيلة اليوم وهو المغطى بتراب الانفجار عمقت الدراما الفيلمية لاسيما مع عودة فريديرك إلى أسرته وقد تخلى عن العمل لدى النازيين وما رافق ذلك من علاقة إشكالية نشأت بينه وبين الراهبة تيريسا (الممثلة فاني بورنيدال) التي تثير شخصيتها الكثير من الحيرة وكيف استطاعت أن تنتشل فريديريك من مأزقه الذاتي بوصفه شيطانا لدى النازيين، ثم ها هو يلتقي تيريزا لقاء النهاية المأساوية تحت الأنقاض فيما هو يحاول إنقاذها لتتجه هي لإنقاذ طفلة أخرى عالقة وسط الحطام.

الفيلم يرسم الأجواء القاتمة والعذابات الإنسانية للحرب ببراعة لافتة للنظر عبر مشاهد مصنوعة بدقة وجمالية عاليتين

يحمل الفيلم فضلا عن الإدانة للحرب تلك الأخطاء الكارثية والفوضى المصاحبة لعمليات القصف لأهداف خاطئة، ولهذا رسم تلك الأجواء القاتمة والعذابات الإنسانية ببراعة لافتة للنظر وقدم مشاهد مصنوعة بدقة ومنها مثلا مشهد انتظار والدة ريغمور سماع خبر عن ابنتها ثم قطعها المسافة ركضا باتجاه المنزل بينما تلوح أشباح سكان المدينة الذين يتراكضون مذعورين كل في اتجاه وكل يبحث عن ابنه أو ابنته وسط تلك الكارثة التي أودت بحياة العشرات من التلاميذ بسبب قصف الطيران للهدف الخاطئ.

عمد المخرج إلى سلسلة من التداعيات النفسية والعاطفية التي عبرت عنها الشخصيات ببراعة وإتقان من خلال ردود الأفعال وتجسيد صرخة الحرب غير المسموعة التي تفتك بالأفراد الذين لا يمتلكون القدرة على مقاومتها ثم وهم يصبحون من ضحاياها وهو ما غاص فيه المخرج عميقا من خلال مشاهد الخوف والترقب التي تم بناؤها بعناية بالغة.

تكاملت في هذا الفيلم العناصر الجمالية المرتبطة بالمكان والديكور والإكسسوار مع بناء صورة واستخدام مونتاجي تكاملا مع أداء الشخصيات ليقدم لنا قصة مؤثرة تضاف للعلامات الفارقة من الأفلام المتميزة التي تناولت الحرب العالمية الثانية من مقترب وجداني وإنساني..

* ط.ع

قصة مأساوية وإنسانية مؤثرة

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

الذكاء الاصطناعي المدخل الرئيسي لمصر الجديدة

بنية رقمية وشباب مؤهلون لمستقبل تديره التكنولوجيا

لم تعد التكنولوجيا ترفا بل صارت عالما واقعيا لا يستطيع الإنسان ولا الدول العيش دونه. فمدن المستقبل ستكون مدنا ذكية تعتمد على التقنيات والكفاءات، لذلك فإن الذكاء الاصطناعي سيكون مدخلا للجمهورية الجديدة في مصر والتي لا بد لها أن تُعد الكفاءات وتهيئ بنية تحتية رقمية لتواكب العصر القادم عصر الأزرار والروبوتات.

مدينة المستقبل

القاهرة - أكد عميد كلية الذكاء الاصطناعي بجامعة المنوفية أسامة عبدالرؤوف أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي تعد المدخل الرئيسي للجمهورية الجديدة بمصر، قائلا إن مصر بدأت بإنشاء كليات الذكاء الاصطناعي منذ عامين، وذلك بتوجه من الدولة باعتبار أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي هي المدخل الرئيسي للجمهورية الجديدة.

وقال لوكالة أنباء شينخوا إن كل شيء الآن أضيف إليه مصطلح "سمارت"، مشيرا إلى أن الحديث عن المدن الذكية لم يعد رفاهية، لأنها مدن موفرة للطاقة وصديقة للبيئة، والأمن فيها أعلى ما يمكن بفضل تطبيقات الذكاء الاصطناعي.

وتابع "عندما تكون البيئة التي نعيش فيها تتمتع بالذكاء الاصطناعي والمدن الجديدة والتجمعات السكانية مدنا حديثة وغير نمطية، فإن الأمر يتطلب وجود شباب مؤهلين وقادرين على التعامل مع هذه المفردات وإدارة هذه الأنظمة، حيث أن الكوادر البشرية دائما أهم من الموجودات لأنهم هم الذين سيديرونها".

وأضاف "من هنا كانت رسالة الدولة بضرورة وجود هذا التخصص ودعمه في الجامعات والمعاهد، لذا جاء دعم الدولة وحرصها على إنشاء كليات الذكاء الاصطناعي بجامعتي المنوفية وكفر الشيخ، ليس هذا فحسب وإنما أصبحت هناك أقسام للذكاء الاصطناعي بكليات أنظمة المعلومات، كما أطلقت الدولة مبادرات بالتعاون بين وزارتي الاتصالات والتعليم العالي للشباب المتميز من كليات الهندسة وإعدادهم من خلال برامج لتأهيلهم للعمل في مجالات الذكاء الاصطناعي".

وأشار إلى أن الدولة المصرية أنشأت تخصصات جديدة هجينة بين الذكاء الاصطناعي والتخصصات العلمية الأخرى مثل الطب والصيدلة وغيرها بالجامعات الأهلية الجديدة، لافتا إلى أن كل هذه الأماكن ستستطيع أن تقدم شبابا لديهم القدرة على إدارة هذه الأنظمة بشكل جيد جدا، وأن يتعاملوا مع كل ما هو حديث في العالم.

ولفت إلى أن البنية الرقمية الجاري إنشاؤها في مصر حاليا، والشوارع التي تنفذ فيها وزارة الاتصالات بنية تحتية رقمية غير مسبوقة، من خلال شبكة مصر التي يتم تنفيذها باستخدام الألياف الضوئية في كل مكان بمصر، وهذه الشبكة الرهيبة والتكنولوجيا المستخدمة فيها تعد الأكثر كفاءة والأكثر اقتصادية والأسرع على مستوى العالم من خلال تكنولوجيا صينية متقدمة للغاية.

واستطرد "نحن طلبنا من الجانب الصيني أن يتم تدريب الطلبة المصريين على هذه التكنولوجيا المتقدمة حتى يتمكنوا من التعامل معها وهو ما تم بالفعل، وتم إرسال معامل متقدمة تكنولوجيا بمنحة من الصين للتدريب عليها وهو ما يحدث بالفعل حاليا، وهو ما يمثل طفرة هائلة في توطين هذه التكنولوجيا بمصر والاستفادة القصوى منها".

وأشاد عبدالرؤوف بتقدم الصين في مجال الذكاء الاصطناعي الخاص بصناعة الروبوتات، مؤكدا أنها تعاملت مع الروبوت بشكل مختلف تماما عن كل دول العالم، حيث بدأت مبكرا للغاية وعملت في كافة الاتجاهات، وحرصت على منافسة دول أوروبا والولايات المتحدة التي كان لها السبق في هذه التكنولوجيا.

وأوضح أن الصين ركزت على صناعة الـ"الأذرع الروبوتية" الموجودة بخطوط الإنتاج وحققت نجاحات باهرة، وأكبر دليل على هذا النجاح اللوحات الموجودة في كل أجهزة الكمبيوتر والأجهزة الإلكترونية والتي تحتاج إلى دقة عالية جدا.

وأضاف أنه نظرا إلى الدقة الكبيرة التي تتمتع بها "الأذرع الروبوتية" في الصين دفعت كل الدول على مستوى العالم إلى أن تتوقف عن تصنيع اللوحات الرقمية والحصول عليها من الصين بجودة عالية وبسعر منافس جدا، وتصنع هذه القطع بالغة الأهمية في أربعة مصانع بالصين.

وشدد على أنه كون الصين لديها "الأذرع الروبوتية" بهذه الدقة المذهلة رغم أنها بدأت دخول مجال صناعة الروبوتات بعد أوروبا والولايات المتحدة، معنى ذلك أنها وصلت إلى مرحلة متقدمة للغاية في هذا المجال لم يصل إليها أحد بعد، وهذا ما دفع الكثير من مصانع السيارات والمصانع التكنولوجية في أوروبا إلى أن تنقل مصانعها إلى الصين للاستفادة من هذا التقدم الكبير في "الأذرع الروبوتية".

ونوه إلى أن هناك اعتقادا عالميا بأن الروبوت لا بد وأن يأخذ شكل الإنسان، موضحا أنه علميا فإن أي ذراع تتحرك بحركات يتحكم فيها آليا أو بشكل ذكي هي روبوت، ورغم ذلك فإن الصين تقدمت أيضا في الروبوت بالغ الشبه بالإنسان مثل قارئ النشرة الإخبارية الذي تظهر عليه تفاصيل شديدة بالوجه، وهو ما يعني أن هناك دقة كبيرة في المحركات المستخدمة لإبراز كافة التعابير للمشاعر المختلفة من فرح وحزن واكتئاب وغضب وغيرها على وجهه.

وأشار إلى أن ما يميز الروبوت الصيني خاصة التعليمي أنه يمكن إضافة أي برامج عليه وإدخال كافة التعديلات التي تريدها لتعليم الطلبة.

وحول التعاون بين مصر والصين، أكد أن البلدين يشهدان تعاونا كبيرا في مجال تطبيقات الذكاء الاصطناعي وكان من أبرزها الترجمة الإلكترونية الصينية والعربية.

وأعرب عن اعتقاده بأنه في ظل ارتفاع أسعار وتكلفة الطاقة وفي إطار مؤتمر المناخ الدولي الذي من المقرر أن تستضيفه مصر في نوفمبر القادم وأهميته الكبيرة نظرا إلى التغيرات المناخية التي انعكست سلبا في الكثير من المجالات، فإن هذا المجال في تطبيقات الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون من أبرز مجالات التعاون بين الصين ومصر، خاصة مع التقدم الصيني في إنتاج السيارات الكهربائية وبطارياتها الحديثة وكذلك الخلايا الشمسية المستخدمة في توليد الطاقة الشمسية، حيث لا يوجد من ينافس الصين من حيث الجودة أو الأسعار والكفاءة، وهو مجال واعد للغاية للتعاون.

> المدن الذكية تتطلب وجود شباب مؤهلين وقادرين على التعامل مع المفردات التكنولوجية وإدارة الأنظمة

وأضاف أن اتجاه مصر لاستصلاح مساحات شاسعة من الأراضي واستزراعها سواء من خلال مشروع 1.5 مليون فدان شمال غرب مصر أو الدلتا الجديدة التي تضم نحو 2.5 مليون فدان أو توشكي جنوب غرب القاهرة أو في سيناء، كلها مشروعات تحتاج إلى ما يعرف بالزراعة الذكية أو الزراعات الدقيقة التي تعتمد على أنظمة الري الحديثة وغيرها، والصين أكثر دولة لديها هذه التطبيقات والأنظمة، فضلا عن التعاون في منظومة النقل الذكي التي تشيدها مصر حاليا بالتعاون مع الجانب الصيني.

في تجربة فريدة.. سيارة تيسلا تسبح في أعماق الفضاء

سان فرانسيسكو (الولايات المتحدة) - في فبراير عام 2018 أرسل الملياردير الأميركي إيلون ماسك سيارته الخاصة من طراز تيسلا رودستر على متن صاروخ ضخم من فئة سبيس إكس فالكون هيفي لتدور في مدار فضائي حول الشمس.

وعادة ما يكون المبرر التقليدي لمثل هذه الأفعال الخارقة للعادة هو أن ماسك ببساطة قادر على ذلك، ولكن هذه المغامرة في الحقيقة كان لها هدف مفيد، ألا وهو قياس قدرة الصاروخ التحميلية، ناهيك عن أن ماسك كانت لديه بالفعل وفرة من سيارات تيسلا، ومن هنا فإن سيارته القديمة من طراز تيسلا رودستر، وهي أول سيارة باعتها شركته، كانت مرشحة مثاليا لخوض هذه المغامرة الفضائية.

والآن، بعد انقضاء أربع سنوات منذ أن وصلت سيارة تيسلا إلى مدارها الفضائي وانقطع بث تدفق الفيديو الذي كان يركز على "ستارمان"، ذلك التمثال على شكل إنسان المثبت خلف مقود السيارة، يتبادر إلى الأذهان الحالة التي وصلت إليها تلك السيارة بعد أن أمضت أربع سنوات في فراغ فضائي على بعد مليارات من الأميال من كوكب الأرض.

وردا على هذه التساؤلات ذكر أنتوني واس أستاذ هندسة الفضاء بجامعة ميشيغان الأميركية أن هناك عدة أشياء تثير اهتمامه بشأن هذه التجربة غير المسبوقة.

وقال واس "هناك أربعة مخاطر رئيسية في الفضاء، ألا وهي الحرارة وتأثير الجاذبية أو انعدامها ثم الإشعاع وأخير مشكلة الضغط"، مضيفا أن العواصف الشمسية تعتبر أيضا من العوامل التي يمكن أن تؤثر على مصير السيارة.

واستطرد أن كل هذه العوامل سيكون لها تأثير مختلف على الخامات التي استخدمت لصناعة السيارة، كما تتوقف المسألة أيضا على طريقة صناعة السيارة تيسلا رودستر.

> السيارة سوف تكون لها قيمة كبيرة من أجل اختبارها لاسيما إذا كان من الممكن استرجاعها كلها أو أجزاء منها

وأعرب واس في مقابلة مع الموقع الإلكتروني "بوبيولار ساينس" المتخصص في مجال التكنولوجيا عن مخاوفه من ظاهرة التدوير الحراري، وكيفية استجابة مكونات السيارة مع التغيرات الحرارية مع مرور الوقت. وأوضح قائلا "تحدث في الفضاء تغيرات فضائية ضخمة حيث تتباين الحرارة ما بين سالب 101 و219 درجة مئوية، وهذه التغيرات تجعل مكونات السيارة تتمدد وتنكمش أكثر مما يحدث على سطح الأرض حيث أن السيارات في العادة لا تتعرض لتغيرات حرارية على مدى 320 درجة مئوية".

وأردف قائلا إن "مفصلات السيارة قد تتفكك من بعضها، ويتوقف ذلك على طريقة تركيبها في المقام الأول". ومن المعروف أن مكونات السيارة تيسلا مصنوعة من الألومنيوم، وهي مثبتة في جسم من الألياف الكربونية، ولكن ليس من الواضح طريقة تثبيت جسم السيارة في الشاسيه، رغم أن التثبيت على الأرجح يتم بواسطة وصلات وليس مواد لاصقة، وبالتالي فإن هذه الوصلات قد تتفكك أو تنكسر بمرور الوقت في حالة تعرضها لضغوط شديدة.

ويقول واس إن الضغط الجوي أو انعدامه يؤثر بأكثر من طريقة على مكونات السيارة، مشيرا إلى أن الطلاء على سبيل المثال يمكن أن يتأثر بالضغط وتباين درجات الحرارة فضلا عن الإشعاعات الشمسية في الفضاء. ورغم أن طلاء سيارة تيسلا يعتمد على تقنيات بالغة التطور، إلا أنه بالتأكيد لم يتم اختباره في ظل درجات حرارة فائقة الارتفاع، كما أن استمرار ارتفاع ثم انخفاض الحرارة على مدار الوقت قد يؤدي إلى تشقق أو تقشر الطلاء فوق جسم السيارة.

ورغم أنه ليس من الواضح ما إذا كانت بطارية السيارة ما زالت مثبتة في مكانها بعد انقضاء كل هذا الوقت، إلا أن واس يعتقد أنها من الممكن أن تكون ما زالت في مكانها، وأن حالتها تتوقف على الجانب المعرض للشمس من السيارة.

أما بالنسبة إلى المكونات المطاطية في السيارة مثل مساحات الزجاج مثلا، فإنها على الأرجح قد أصبحت جافة إلى درجة الصلابة وربما تكون قد تحللت، وأصبحت تسبح في الفضاء حول السيارة على غرار مادة الطلاء.

ويرى واس أن أي تدمير تعرض له السيارة لا بد أن يكون ناجما عن إصابات بشهب فضائية، لأن جسم السيارة في مثل هذه الحالة قد يكون ممتلئا بالثقوب، ويتوقف ذلك على عدد الشهب الفضائية التي ضربت السيارة وأحدثت بها هذه الثقوب.

ويقول واس إن "لا أحد يفكر بشأن ما الذي يمكن أن يحدث لهذه السيارة بعد عشرة أو عشرين عاما، ولكنني أعتقد أنه سيكون لها قيمة كبيرة من أجل اختبارها لاسيما إذا كان من الممكن استرجاعها كلها أو أجزاء منها بعد رحلتها، فهي بالقطع تمثل ثروة معلوماتية لمعرفة قدرة الخامات على تحمل الظروف المحيطة في الفضاء الخارجي".

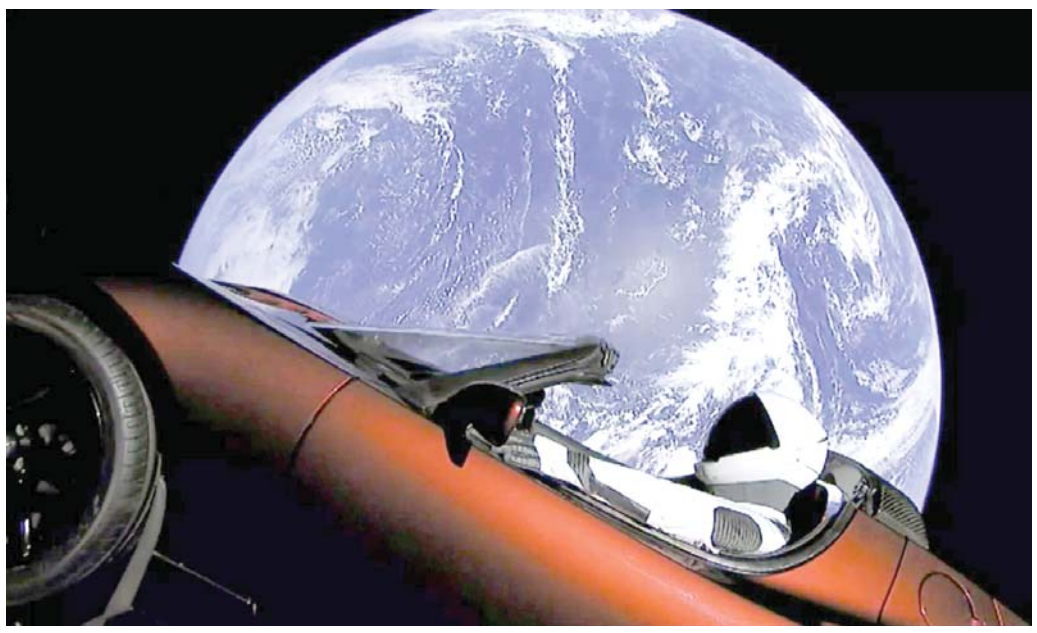

عبقرية أم جنون

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

النشاط البدني يساعد على التخلّص من هرمونات الإجهاد الربيعي

تمرين التنفس القصير والزفير البطيء يجعل الجسم والعاطفة أكثر انسجاما

الأنشطة البدنية المنتظمة تساعد في التخفيف من الاكتئاب

تؤثر التغيرات الموسمية وزيادة طول ساعات النهار في الحالة العاطفية والبدنية للإنسان، ما يخلق ظروفا ترهق الجسم، وينصح خبراء اللياقة البدنية بممارسة التمارين الرياضية، ما يساعد على التخلص من هرمونات الإجهاد الربيعي.

موسكو - أعلنت الدكتورة زهرة بافلوفا أخصائية الغدد الصماء أن الكثيرين يتعرضون للإجهاد الربيعي، وتقترح طرقا لمكافحته.

وأشارت الأخصائية في حديث لراديو "سبوتنيك" إلى أن التغيرات الموسمية وزيادة طول ساعات النهار تؤثر في الحالة العاطفية والبدنية للإنسان، ما يخلق ظروفا ترهق الجسم، لذلك يلاحظ أن الكثيرين يشعرون في الربيع بالتوتر والإرهاق.

وتقول "يصبح النهار في الربيع أطول والليل أقصر، لذلك يحاول الإنسان التكيف مع هذه التغيرات. ويصاحب هذه التغيرات عدم تزامن إيقاعات الساعة البيولوجية، ما يؤثر سلبا في جسمه ويرهقه. والإجهاد في الواقع هو خلل هرموني ناجم عن ارتفاع مستوى هرمون الكورتيزول وانخفاض مستوى هرمون السيروتونين، ما يؤثر سلبا في الحالة العصبية للإنسان".

ووفقا لها، فإن الطريقة الفعالة في مكافحة الإجهاد هي الإكثار من شرب الماء.

وقالت "أبسط طريقة لتخفيف التأثير السلبي للعواطف في الجسم هي شرب الماء، لأنه عندما يشرب الإنسان الماء برشفات كبيرة، يحجب نشاط الهرمون المنشط لقشر الكظرية، الذي ينتج في الدماغ، ويجبر الغدة الكظرية على إفراز هرمون الكورتيزول".

وأضافت أن النشاط البدني يساعد على التخلص من هرمونات الإجهاد.

وأشارت بافلوفا إلى أن الميتاكوندريا الموجودة في خلايا الجسم عند ممارسة النشاط البدني تعمل على معالجة هرمونات الإجهاد وتدميرها، أي أن العضلات تعمل مثل آلة تمزيق الورق.

وأضافت أنه يمكن بمساعدة تمارين خاصة للتنفس جعل الخلفية العاطفية أكثر انسجاما.

وقالت "يمكن بمساعدة تمرين التنفس القصير والزفير البطيء جعل الخلفية العاطفية متوازنة. ويمكن استخدام ثلاث دورات لعملية التنفس: خذ نفسا عند العد لأربعة، واحبس أنفاسك مؤقتا للعد إلى سبعة، والزفير عند العد ثمانية".

وأضافت أنه إذا لم تنفع هذه الأساليب في التغلب على الإجهاد، فيجب استشارة الطبيب الأخصائي.

وقد تساعد الرياضة بأي شكل من أشكالها في تخفيف الضغوط النفسية، حيث يعزز النشاط البدني الذي يبذله الفرد من إنتاج الإندورفين الذي يجعله يشعر بالسعادة، ويلهيه عن دواعي القلق اليومية.

ويمكن القول إن أي نوع من التمارين الرياضية تقريبا، بدءا من التمارين الهوائية إلى اليوغا، يمكن أن يكون من مخففات التوتر. فإذا كان الشخص من غير ممارسي الرياضة أو حتى لا يتمتع بلياقة بدنية جيدة، فما تزال ممارسة التمارين الرياضية قادرة على مساندته في رحلته للتخلص من التوتر.

وتحسن ممارسة التمارين الرياضية الحالة الصحية العامة وتزيد الشعور بالعافية ما يضيف المزيد من الحيوية إلى كل خطوة يخطوها الفرد كل يوم. وتحقق التمارين الرياضية أيضا بعض الفوائد المباشرة التي تمنع التوتر.

> **التغيرات الموسمية وزيادة طول ساعات النهار تؤثر في الحالة العاطفية والبدنية للإنسان، ما يخلق ظروفا ترهق الجسم**

ويمكن أن يساعد النشاط البدني في ضخ إفرازات الناقلات العصبية التي تسبب شعور المخ بالسعادة، التي تُسمى الإندورفينات. وعلى الرغم من أنه كثيرا ما يشار إلى هذه الوظيفة باسم نشوة العدائين، فإن أي نشاط هوائي، كلعب مباراة تنس مثيرة أو نزهة بين المناظر الطبيعية، قد يسهم أيضا في ملاقاة الشعور ذاته.

ويمكن أن تؤدي ممارسة التمارين الرياضية بانتظام إلى زيادة ثقة الإنسان بالنفس وتحسين حالته المزاجية ومساعدته على الاسترخاء وتقليل أعراض الاكتئاب الخفيف والقلق. ويمكن أن تحسن ممارسة التمارين الرياضية يوميا جودة نومه الذي غالبا ما يعرقله التوتر والاكتئاب والقلق.

وقد يشعر الفرد حال التعرض للاكتئاب أو القلق أن التمارين الرياضية هي آخر شيء قد يفكر في فعله، ولكن فور أن يجد التشجيع الكافي، سيمكنه الانتقال نقلة هائلة.

وتساعد ممارسة التمارين الرياضية في منع عدد من المشكلات الصحية وتحسينها، بما في ذلك ضغط الدم المرتفع والسكر والتهاب المفاصل. وتوضح الأبحاث التي أجريت على الاكتئاب والتوتر وعلاقتهما بممارسة الرياضة أن الفوائد النفسية والبدنية للرياضة يمكن أن تساعد في تحسين الحالة المزاجية وتقلل الشعور بالقلق.

ومع أن الروابط بين الاكتئاب والقلق وممارسة التمارين الرياضية ليست واضحة وضوحا كاملا، فإن ممارسة التمارين وغيرها من أشكال النشاط البدني لا شك أنها تساعد في تخفيف أعراض الاكتئاب أو القلق، وتجعل الشخص يشعر بالتحسن. وتساعد ممارسة التمارين الرياضية أيضا في منع الاكتئاب والقلق من العودة مرة أخرى بعد شعور الفرد بالتحسن.

وقد تؤدي ممارسة التمارين الرياضية لمدة 30 دقيقة أو أكثر يوميا لثلاثة أو خمسة أيام في الأسبوع إلى تخفيف أعراض الاكتئاب أو القلق تخفيفا ملحوظا. ومع ذلك، فإن ممارسة نشاط بدني لفترات أقصر، من 10 دقائق إلى 15 دقيقة كل مرة، قد تصنع فارقا ملموسا كذلك. وقد تستغرق ممارسة التمارين الرياضية وقتا أقل لتحسين حالة الفرد المزاجية إذا كان يمارس أنشطة رياضية أشدّ مثل الركض أو ركوب الدراجات.

لكن لن تستمر فوائد التمارين الرياضية والنشاط البدني للصحة العقلية إلا إذا التزم الفرد بممارستها على المدى الطويل، وهو سبب آخر وجيه يدعو إلى التركيز على البحث عن الأنشطة التي يستمتع بها.

وقد يكون البدء في ممارسة التمارين الرياضية الروتينية أو الأنشطة البدنية المنتظمة والالتزام بها أمرا صعبا.

لكن تحديد ما يستمتع الفرد بممارسته يمكن أن يسهل عليه ذلك.

وينصح الخبراء بالتعرف على نوع الأنشطة البدنية التي يفضل الشخص ممارستها أكثر من غيرها، والتفكير في الموعد الذي يفضل ممارستها فيه والطريقة التي يحب ممارستها بها. فعلى سبيل المثال، هل الأكثر تفضيلا له أن يؤدي بعض أعمال البستنة في المساء، أو يبدأ يومه بالركض، أو يركب دراجة أو يلعب كرة السلة مع أطفاله بعد المدرسة؟

ويعد الإجهاد علامة من علامات الإصابة بأحد الأمراض العضوية أو النفسية.

ويحدث الإجهاد البدني نتيجة لتعرض الإنسان للضغوط الحياتية أو الإصابة بأحد الأمراض العضوية، ويتسبب الإجهاد البدني والشعور بالإرهاق في إعاقة الإنسان عن أداء أعماله اليومية بكفاءة عالية، وقد يؤثر على صحته بالسلب ما يجعله عرضة إلى كثير من الأمراض.

ويعد الاكتئاب من الأمراض النفسية الشديدة والتي تؤثر على حياة الإنسان بشكل كامل، ويتعرض الإنسان إلى الإجهاد بشكل سريع مع التعب والإرهاق والرغبة في النوم بشكل دائم.

وتعد ممارسة التمرينات الرياضية التي تساعد على الاسترخاء ومنها اليوغا، مهمة في التخلص من الإجهاد البدني.

نقص فيتامين «د» يسبب لين العظام لدى الأطفال

برلين - قالت الجمعية الألمانية لطب وجراحة العظام إن لين العظام لدى الأطفال هو اضطراب في أيض العظام يحدث عادة بسبب نقص فيتامين "د" أو خلل في أيض فيتامين "د".

وأوضحت الجمعية أن نقص فيتامين "د" في الجسم يحدث بسبب قلة التعرض لأشعة الشمس؛ نظرا لأن أشعة الشمس تساعد الجسم على بناء فيتامين "د" المهم لصحة العظام. ولهذا السبب يطلق على فيتامين "د" اسم "فيتامين الشمس".

وأضافت الجمعية أن الخلل في أيض فيتامين "د" يرجع إلى أسباب عدة مثل أمراض الكبد وأمراض المعدة والأمعاء المزمنة وجراحات الجهاز الهضمي.

وتتمثل أعراض لين العظام لدى الأطفال في العظام الطرية والقابلة للتشوه واضطرابات المشي كالعرج وتقوس الساقين للداخل (على شكل حرف X) أو للخارج (على شكل حرف O) والانحناء الخلفي للعمود الفقري واتخاذ القفص الصدري لشكل الجرس، بالإضافة إلى تسوس الأسنان وكثرة تعرض العظام للكسر.

ولعلاج لين العظام ينبغي إمداد الجسم بفيتامين "د" على نحو كاف من خلال التعرض لأشعة الشمس بشكل منتظم، مع تناول الأغذية الغنية به مثل الأسماك ومنتجات الألبان. وفي حالات النقص الشديد، يمكن اللجوء إلى المكملات الغذائية المحتوية على فيتامين "د".

وفي حالة وجود خلل في أيض فيتامين "د"، فإنه يتم علاج المرض المسبب لهذا الخلل.

ويشير تلين العظام إلى لين ملحوظ فيها، وغالبا ما يحدث بسبب نقص حاد في فيتامين (د). ويمكن أن يؤدي لين العظام لدى الأطفال والشباب المصابين به إلى الانحناء أثناء النمو، وخاصة في عظام الساقين الحاملة للوزن. ويمكن أن يؤدي عند كبار السن إلى كسور.

ويتضمن علاج لين العظام توفير ما يكفي من فيتامين (د) والكالسيوم، وكلاهما ضروري لتقوية العظام وزيادة صلابتها، وعلاج الاضطرابات التي قد تسبب هذه الحالة.

ويمكن الوقاية من لين العظام الناتج عن عدم كفاية التعرض لأشعة الشمس أو اتباع نظام غذائي منخفض في نسبة فيتامين "د" من خلال الحصول على ما يكفي من فيتامين "د" أو تناول الطعام الغني بفيتامين "د". ومن الأطعمة الغنية طبيعيا بفيتامين "د" الأسماك الزيتية (السلمون والماكريل والسردين) وصفار البيض والخبز والحليب والزبادي، أو تناول المكملات الغذائية عند الحاجة.

ويساعد فيتامين "د" في الحفاظ على قوة العظام والأسنان، مع الحفاظ أيضا على عضلات صحية. وكشف خبراء أنه يمكن زيادة فيتامين "د" في الجسم عن طريق تناول أطعمة معينة.

ويقرر العديد من الأشخاص تناول مكملات فيتامين "د" يوميا خلال أشهر الشتاء، ولكن يمكن أيضا تجنب النقص بمجرد تناول أطعمة محددة.

وتعتبر الأسماك الزيتية من أفضل أنواع الأطعمة التي تحتوي على فيتامين "د"، وتشمل الأسماك الزيتية السلمون والرنجة والسردين والتونة وغيرها الكثير.

وعلى سبيل المثال، يمكن أن توفر الرنجة الطازجة ما يصل إلى 5 ملغ من فيتامين "د" في حصة واحدة 100 غرام. وهذا هو نصف كمية فيتامين "د" اليومية التي يوصى بها خلال فصل الشتاء.

> **أعراض لين العظام لدى الأطفال تتمثل في العظام الطرية والقابلة للتشوه واضطرابات المشي كالعرج وتقوس الساقين للداخل**

ويعتبر كبد البقر مصدرا رائعا آخر لفيتامين "د"، بالإضافة إلى أنواع أخرى من اللحوم الحمراء.

ويوجد معظم البروتين في بياض البيض، لكن صفار البيض يحتوي على كمية كبيرة من فيتامين "د". ويحتوي صفار بيضة واحدة على ما يقرب من 1 ملغ من فيتامين "د".

المشي بأقدام حافية يعمل على تدريب عضلات القدم والأربطة والأوتار

كولن - حذر البروفيسور إنجو فروبوزه من أن الارتداء المستمر للأحذية يرفع خطر الإصابة بتشوهات الأقدام مثل تسطح الأقدام أو اعوجاج الأقدام.

ولتجنب ذلك، أوصى عالم الرياضة الألماني بالمشي بأقدام حافية لما يتمتع به من فوائد جمة؛ حيث أنه يعمل على تدريب عضلات القدم والأربطة والأوتار، ويسهم في الحفاظ على ثبات واستقرار مفصل الكاحل، ويحد من تشوهات الأقدام ومشاكل العظام الناجمة عنها، وتعزيز وضعية القوام، ومن ثم الوقاية من مشاكل الظهر والركبة.

ولتحقيق أقصى استفادة ممكنة، ينبغي المشي بأقدام حافية على أرضيات متنوعة مثل الرمال والعشب والحصى.

وحذر فروبوزه مرضى السكري من المشي بأقدام حافية، وذلك لتجنب خطر الإصابة بجروح صغيرة في القدم؛ علما بأن مرضى السكري لا يلاحظون في الغالب هذه الإصابات بسبب تراجع الإحساس بالألم لديهم، فضلا عن بطء التئام الجروح لديهم، مما يرفع خطر الإصابة "بالقدم السكرية" الذي يهدد ببتر القدم.

كما يتعين على مرضى الفُصال العظمي استشارة الطبيب المعالج أولا قبل المشي بأقدام حافية؛ نظرا لأن ارتفاع الحمل على القدمين يؤدي إلى تفاقم الألم المرتبط بالمرض.

ويقول الخبراء في الحديث عن فوائد المشي دون أحذية، إنه عندما يتعلم الطفل المشي، يُطلب من الوالدين ترك هذه العملية تحدث بشكل طبيعي ودون حذاء، وذلك لأن الأحذية يمكن أن تؤثر على كيفية استخدام الطفل للعضلات والعظام في قدمه، إذ يدرك الطفل كيفية الإحساس بالأشياء من خلال المشي على الأرض دون حذاء.

وقال الدكتور جوناثان كابلان أخصائي القدم والكاحل وجراح العظام في معهد هوغ لتقويم العظام "إن الميزة الأكثر وضوحا للمشي حافي القدمين هي أنك تعيد نمط المشي الطبيعي لديك".

وأضاف أن المشي حافي القدمين يسهم في التحكم في وضع القدم ويحسّن التوازن، واستقبال الحس العميق وإدراك الجسد، والتي يمكن أن تساعد في تخفيف الآلام.

كما يمكن للمشي حافي القدمين أن يسهم في تحسين آلية عمل الفخذين والركبتين، والتي يمكن أن تؤدي إلى تحسين ميكانيكا مفاصل القدم والكاحل بالإضافة إلى منح القوة والثبات الكافيين داخل العضلات والأربطة.

وينبغي على مرضى السكري توخي الحذر دائما، واستشارة الطبيب قبل ممارسة المشي دون حذاء، ولاسيما إذا كان لديهم اعتلال في أعصاب الأطراف، حيث يمكن أن يصابوا بجروح في أسفل أقدامهم ولا يدركون ذلك.

وأوضح الطبيب فلاديمير خوروشيف بأنه توجد فائدة صحية كبيرة من سير الإنسان حافيا دون أي حذاء؛ لأنه توجد على باطن القدمين كمية كبيرة من النقاط الفعالة بيولوجيا.

وبيّن خوروشيف أنّ المشي حافيا يحفز وينشط جميع أعضاء وأنظمة الجسم عن طريق تدليك النقاط العصبية المرتبطة بها والموجودة على بطن القدم: ومن ذلك الكبد والبنكرياس والدماغ.

وأشار إلى أنه عندما يمشي الإنسان حافي القدمين تتأثر وتنشط جميع أعضاء جسمه بالكامل، بفضل تدليك النقاط الفعالة حيويا. ومن المهم بشكل خاص اختيار مكان المشي المناسب، وأفضل خيار هو المشي على الحصى المستديرة، وكذلك العشب والرمل. وذكر خوروشيف أن عند المشي على الحصى يتم تدليك بطن القدم وكذلك يتم تدريب المفاصل. ونصح الطبيب بعدم المشي حافي القدمين لأكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات في اليوم؛ لأنّ معظم الناس لديهم أقدام مسطحة، وتابع أنه لا ينصح بالمشي دون حذاء على الأسطح الصلبة والمخدشة لأنه لا يؤدي إلا إلى الأذى. وكذلك لا يجوز المشي حافي القدمين على الأسفلت أو الخرسانة.

> **لتحقيق أقصى استفادة ممكنة، ينبغي المشي بأقدام حافية على أرضيات متنوعة مثل الرمال والعشب والحصى**

ويعد المشي حافي القدمين من أهم الرياضات التي ينصح بممارستها يوميا لما لها من فوائد صحية ونفسية. وتنعكس رياضة المشي بأقدام حافية إيجابا على صحة الإنسان، حيث تساهم في تقليل خطر الإصابة بمرض القدم الرياضي الذي يعد من أكثر الأمراض الجلدية انتشارا في منطقة القدمين. كما تنشط إفراز هرمون الكورتيزول الذي يقلل من الشعور بالقلق والتوتر مما يؤدي إلى تحسين جودة النوم.

الحفاظ على ثبات واستقرار مفصل الكاحل

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

حرب مطروح منها إطلاق النار للحصول على مواهب تمثل الوطن في كرة القدم

اختيار المواهب العربية الشابة لتمثيل بلدانها الأصلية يقدم نموذجا يحتذى به

يجادل العديد من قادة الرأي بأن مباريات كرة القدم الدولية بمثابة "حرب مطروح منها إطلاق النار"، إذ يقدم تاريخ الرياضة مرآة فريدة للكشف عن بعض تعقيدات العلاقة بين الانتماء القومي والمواطنة والهجرة.

العودة إلى الوطن ترتكز على الوعي العرقي

الرباط – قبل أسابيع احتدم الجدل في الإعلام الرياضي الهولندي بعد اختيار سفيان شراوي حمل قميص المنتخب الوطني المغربي لكرة القدم داخل القاعة، ومغادرته للتجمع الإعدادي الذي كان يشارك فيه رفقة المنتخب الهولندي، استعدادا لنهائيات كأس أوروبا للأمم التي احتضنها أمستردام نهاية شهر يناير، لاسيما أن شراوي كان يعد إحدى الركائز الأساسية في منتخب الطواحين.

وتمكن الاتحاد المغربي لكرة القدم من إقناع حارس مرمى نادي فاينورد الهولندي يوسف بنسلام، وسفيان شراوي لاعب هوفوكيبو الهولندي وزميله بالفريق نفسه إلياس بوزيت بالانضمام إلى المنتخب المغربي.

وخلّف ما أقدم عليه الاتحاد المغربي غضبا كبيرا من جانب مسؤولي الرياضة والإعلام في هولندا، الذين باتوا يرون في الاتحاد المغربي مؤسسة تجني ثمار سنوات من العمل مع اللاعبين وتأطيرهم وصرف مبالغ كبيرة على تكوينهم.

شتات استعماري وعمالي

الكرة الهولندية، التي عانت مما تعتبره "سرقة مواهبها" في كرة القدم من قبل الاتحاد المغربي لكرة القدم، كحكيم زياش نجم تشيلسي ونصير مزراوي لاعب أياكس أمستردام الهولندي، وجدت نفسها مهددة من جديد بفقدان اللاعبين والمواهب، لكن هذه المرة في كرة القدم المصغرة "داخل القاعة"، لاسيما أن هولندا تزخر بالعديد من المواهب ذات الأصول المغربية داخل الأندية والمنتخبات الصغرى.

وأبدت تخوفها من أن تنطلق موجة جديدة ومن نوع خاص من الهجرة إلى المنتخب المغربي، كما هو الحال عليه في أوساط لاعبي كرة القدم، أمثال زياش ومزراوي وكريم الأحمدي ومنير الحمداوي وغيرهم من لاعبي الجيل الحالي أو الأجيال السابقة، الذين فضلوا المنتخب المغربي، رغم ترعرعهم داخل أندية هولندية، في ظل التحركات الكبيرة التي يقوم بها الاتحاد المغربي لكرة القدم عن طريق وكيله في هولندا.

وفي عام 2019 اتهم المدرب الهولندي رونالد كومان لاعبي كرة القدم الهولنديين المغاربة، بمن فيهم زياش ومزراوي وأسامة إدريسي، بتلقي رشاوى من المغرب لاختيار أسود الأطلس.

وأضاف كومان أنه "إذا حصل اللاعب على مبلغ كبير من قبل المسؤولين المغاربة، فإن نظرائهم الهولنديين لنيتمكنوا من فعل الكثير. يجعل من الصعب إقناعهم باللعب مع فرقنا".

ودحض زياش هذه المزاعم قائلا إن "الناس يخترعون أكثر الأشياء جنونا". وقال "لم أتلق أي أموال للعب مع المنتخب المغربي والأمر نفسه ينطبق على مزراوي والإدريسي".

وقد بدأ الاتحاد المغربي لكرة القدم في التواصل بنشاط مع المغتربين الأوروبيين منذ 2014 في حملة بعنوان "إعادة المواهب إلى الأرض". ويحمل هؤلاء اللاعبون جنسية بلدهم بالولادة (فرنسا وبلجيكا وهولندا) وبلدهم الأصلي (المغرب). وطلب منهم اللعب للمنتخب المغربي بدلا من المنتخب الوطني للبلد المضيف. وفي كثير من الأحيان اتصل مدربو البلدان المضيفة للاعبين بنفس الطلب.

وتوضح هذه الأمثلة كيف يتم وضع اللاعبين في مراكز الاضطرار إلى الاختيار بين بلدين، بالإضافة إلى أن المدربين والمسؤولين الآخرين يشاركون بنشاط في جذب المواهب لاختيار جانبهم. وأسفرت الحملة المغربية في نهاية المطاف عن تأهل المغرب لكأس العالم 2018، مع فريق كان فيه 17 من أصل 23 لاعبا من مواليد الخارج. ثمانية من أصل 23 لاعبا ولدوا ونشأوا في فرنسا، وخمسة ولدوا في هولندا، واثنان ولدوا في إسبانيا، واللاعبان الأخيران في الاختيار وُلدا في كندا وبلجيكا. ستة لاعبين فقط ولدوا في المغرب، ثلاثة منهم كانوا مؤهلين للعب لبلد آخر. كان عشرون من أصل 23 لاعبا يحملون جنسية مزدوجة وكان بإمكانهم اللعب لبلد آخر.

ونظرا لقواعد الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، طلب من كل هؤلاء اللاعبين اختيار دولة واحدة لتمثيلها ولم يُسمح لهم بتبديل ولاءاتهم. وغالبا ما تضمنت هذه الاختيارات قضايا الولاء والالتزام ولكن أيضا فرصا لاختيار المستقبل.

قائد أسطوري

واختار بعض اللاعبين المغرب على وطنهم الأوروبي. لاعب وسط ساوثهامبتون المولود في باريس سفيان بوفال قارن ذلك بـ"الاختيار بين أمه وأبيه". في البداية، تردد علانية في الالتزام بالمغرب. وقال في 2015 "المنتخب الفرنسي هو أحد أهدافي". وقد أدى ذلك إلى الاستياء منه في المغرب. وفي عام 2016 ظهر لأول مرة في فريق أسود الأطلس. ومع ذلك، يقول "لن أنسى ما أعطتني إياه فرنسا. لقد ساعدتني في أن أكون ما أنا عليه، لقد رحبت بوالديّ". وينتمي اللاعبون المغاربة في فرنسا إلى الشتات الاستعماري، بينما ينتمي اللاعبون المغاربة في هولندا إلى الشتات العمالي.

وفي أدب الشتات، ترتكز أسطورة العودة إلى الوطن على الوعي العرقي القوي للمهاجرين في الخارج، والذي ربما منعهم من الاندماج في المجتمع المحلي وحثهم على الاستمرار في التحدث بلغتهم الأم في المنزل.

ولا يختلف الأمر في تونس مثلا إذ أصبح لاعب المنتخب الوطني حنبعل المجبري "بطلا قوميا".

ويعتقد حنبعل أن انضمامه للمنتخب التونسي "أفضل اختيار بالنسبة إلى عائلتي وبالنسبة إلي، إنه اختيار مهم سيكون له تأثير على العديد من الشبان.. شيء مميز أن تكون مصدر إلهام وأتمنى أن أكون مؤثرا بالنسبة إليهم من أجل تحديد اختياراتهم في الاتجاه الصحيح".

وأشار "أعتقد أننا قمنا بالاختيار الصحيح وأنا فخور بذلك.. تونس هي بلدي وبلد والدي ووالدتي.. إنهما يشعران بالسعادة لأنني اخترت تمثيل منتخب تونس، لقد كان ذلك بمثابة الهدية لهما".

ويتبرك التونسيون بلقب حنبعل الذي يجسد القائد العسكري الأسطوري لقرطاج، مبدع التكتيكات الحربية الذي ذاع صيته في العصور الوسطى وأصبح مرجعا في الأكاديميات العسكرية المعاصرة. ويظهر اللاعب في كثير من تدوينات المعجبين على مواقع التواصل الاجتماعي في صور مركبة وهو حامل لدرع حنبعل يتقدم كتيبة حربية تقود قطيعا من الفيلة، في إشارة إلى المسيرة الملحمية للقائد العسكري في طريقه إلى روما عبر جبال الألب.

وقال الصحافي والناقد الرياضي التونسي طارق الغديري "حسب رأيي، هناك سببان وراء تعلق التونسيين باللاعب، أولهما تمتعه بكل مقومات التأثير على وسائل التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى أن اسمه ذو رمزية وذلك إلى جانب تسريحة شعره المميزة".

ويمكن ملاحظة انتشار تسريحة شعر اللاعب، المميزة والشبيهة بتسريحة شعر نجم الكرة الكولومبي السابق كارلوس فالديراما، في صفوف الأطفال في وقت تزداد فيه الآمال الشعبية بميلاد نجم كبير في تونس.

ويذكر أن الجامعة التونسية لكرة القدم استقطبت أيضا مدافع أرسنال الإنجليزي عمر الرقيق ولاعب مانشستر سيباستيان تونكتي لتمثيل المنتخب الوطني التونسي.

ويتطلع عدد من المواهب من المغتربين في أوروبا للسير على خطى المجبري.

«أسود، أبيض، عربي».. شعار المنتخب الفرنسي

وقبل سنوات قليلة تحول حاتم بن عرفة إلى "خائن" في نظر كثيرين في تونس عندما رفض اللعب للمنتخب التونسي.

وشاركت تونس في مونديال 2018، في حين تم استبعاد بن عرفة من نسخ كأس العالم 2010 – 2014 – 2018، وهو ما تسبب له بإحباط كبير أثّر على مسيرته.

المواطنة والأمة والجنسية

يعد المنتخب الفرنسي مثالا واضحا للفريق الآخر الذي استفاد من العلاقات الاستعمارية السابقة. كان المنتخب الفرنسي المشارك في نهائيات كأس العالم لعامي 1998 و2018 من بين الفرق الأكثر تنوعا في كأس العالم.

وأصبحت الهجرة والتنوع والهوية الوطنية قلب النقاش العام والثقافة الشعبية، كما يتضح من الفيلم الوثائقي "الزرق" (Les Blues) الذي أبرز أن شعار "أسود، أبيض، عربي" أصبح شعارا للمنتخب الوطني الفرنسي.

وفي عام 2018 تساءل الممثل الكوميدي الجنوب أفريقي الشهير تريفور نوح عما إذا كان الفريق الفرنسي، الذي كان في ذلك الوقت بطل العالم، كان "حقا" فريقا فرنسيا. لقد دفع بفكرة التماثل في اتجاه آخر. وفي برنامجه الأميركي الشهير "ذا ديلي شو"، هنأ الفريق الأفريقي على فوزه ببطولة العالم، مشجعا "أفريقيا فازت، أفريقيا بطلة العالم".

وانتقد السفير الفرنسي لدى الولايات المتحدة جيرار أرو بشدة أداءه حينها. وبحسب أرو، فقد حرم نوح المنتخب الفرنسي من الهوية الفرنسية بالإشارة إلى أصلهم الأفريقي. وأكد السفير في رسالته أن الخلفية الغنية والمتنوعة للفريق الفرنسي تعكس تنوع فرنسا، فأجاب نوح "لا أريد أن أكون وقحا، لكن هؤلاء الأشخاص لا يتم اختيارهم عشوائيا. يبدو أنه انعكاس للماضي الاستعماري لفرنسا".

وتحتوي مصطلحات "المواطنة" و"الأمة" و"الجنسية" على معان مختلفة، وإن كانت متداخلة. ويقدم تاريخ كأس العالم الاتحاد الدولي لكرة القدم أمثلة وحالات ممتازة للكشف عن هذه المعاني في سياقات تاريخية مختلفة. وتم اقتراح ثلاث فئات متداخلة من الحقائق التاريخية لفهم التعقيدات التاريخية للهجرة والمواطنة والهوية الوطنية من منظور رياضي تاريخي. تتناول الفئة الأولى فرق الشتات، باستخدام أمثلة إيطاليا في عام 1934 والمغرب في عام 2018.

وتسلط هذه الفئة الضوء على كيفية استخدام الدول لمفاهيم قانون الدم أو المواطنة العرقية، على أساس النسب، لجذب اللاعبين المولودين في الخارج إلى فرقها. وعادة، يشارك ممثلو الدولة أو الاتحادات الرياضية الوطنية بنشاط.

وتتناول الفئة الثانية فرقا من الدول المتوسعة وحلها، مثل ألمانيا في عام 1938 ويوغوسلافيا في عام 1990. إذ أن الدول ليست كيانات ثابتة ومستقرة؛ قد تتغير الحدود، ويمكن للدول أن تتلاشى. وفي هذه الحالات، يتعين على الاتحادات الرياضية واللاعبين الفرديين اتخاذ قرار بشأن الحقائق الجديدة والتعامل معها.

وتستكشف الفئة الثالثة الحقائق الاستعمارية وما بعد الاستعمار، الذي أوضحته البرتغال في عام 1966 وفرنسا في عام 2018. وتتحدى العلاقة بين الانتماء القومي والمواطنة والهجرة المفاهيم الواضحة للعضوية والانتماء.

وتستفيد قطر، الدولة المضيفة لكأس العالم 2022، من نفس المبدأ. وقد أنشأت "أكاديمية أسباير" المثيرة للجدل، من بين مبادرات أخرى، لجذب لاعبي كرة القدم الأفارقة الشباب. وسيكون هؤلاء اللاعبون، بعد حصولهم على عقد لمدة خمس سنوات، مؤهلين للعب مع قطر. وتأمل قطر في استقطاب لاعبين على غرار دييغو كوستا لاعب المنتخب الإسباني.

وسبق أن وصفت الصحافة كوستا بأنه "أكثر شخص مكروه في العالم" بعدما رفض تمثيل المنتخب البرازيلي واختار تمثيل المنتخب الإسباني، حتى أن الاتحاد البرازيلي لكرة القدم طالب بتجريده من جنسيته البرازيلية. وصرح كوستا "أتمنى أن يتفهم الناس ويحترموا قراري لأنه كان صعبا للغاية. كان من الصعب جدا الاختيار بين البلد الذي ولدت فيه والبلد الذي أعطاك كل شيء".

وولد المهاجم البرازيلي كوستا في لاغارتو بالبرازيل عام 1988. وأطلق عليه والده اسم لاعب كرة القدم الأرجنتيني دييغو مارادونا رغم التنافس بين البرازيل والأرجنتين. وفي مارس 2013 لعب كوستا مباراتين وديتين مع المنتخب البرازيلي. وفي سبتمبر من نفس العام أعلن أنه يرغب في اللعب مع المنتخب الإسباني. لذلك، قدم الاتحاد الملكي الإسباني لكرة القدم طلبا رسميا إلى فيفا يطلب فيه الإذن باستدعاء كوستا للمنتخب الإسباني.

وليست حالة كوستا فريدة من نوعها بأي حال من الأحوال. وفي دراسة حديثة، بنى فان كامبنهاوت وفان ستيركنبورغ وأونك أبحاثهم على 10137 ملاحظة لبيانات السيرة الذاتية للاعبي كرة القدم، بما في ذلك الدولة التي يمثلونها، وتاريخ ومكان ميلادهم، ومعلومات إضافية عن جنسية الأب والأم، لتحديد ما إذا كان لاعبو كرة القدم مؤهلين للحصول على الجنسية في بلد آخر.

وأشارت الدراسة إلى أن النسبة المئوية للاعبين المولودين في الخارج في جميع نهائيات كأس العالم لكرة القدم (للرجال) بين عام 1930 (تاريخ أول بطولة رسمية لفيفا) و2018 بقيت مستقرة نسبيا بين 8 و12 في المئة. وبعبارة أخرى، خلافا للاعتقاد العام في وسائل الإعلام وفي المناقشات الأكاديمية، لم تكن هناك زيادة كبيرة في عدد المولودين في الخارج لاعبين في كأس العالم على مدى العقدين الماضيين.

> حنبعل المجبري يعتقد أن انضمامه للمنتخب التونسي مهم وله تأثير على الشبان ويتمنى أن يكون مؤثرا بالنسبة إليهم من أجل تحديد اختياراتهم الصحيحة

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

حوافز الاستثمار الرياضي تجذب راعي الليغا الإسبانية إلى مصر

بيئة مواتية للاستثمار الرياضي تعتمد على القاعدة الشعبية والزخم الحكومي

الاستثمار الرياضي.. عندما تتحول الهواية إلى الاقتصاد

أعلن راعي الدوري الإسباني دخوله بشكل رسمي إلى مصر للعمل في هذا البلد خلال الفترة المقبلة بعد سنوات من رعاية الليغا، ومن ثمة يدخل مجال التسويق في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. واختارت شركة "سي إيه سبورتس" الإسبانية مصر لتكون مقرا لها في إطار توسيع عملياتها التسويقية. وأعلنت الشركة افتتاح مكتبها في العاصمة المصرية القاهرة لتوسيع عملياتها واقتحام سوق التسويق الرياضي في مصر والشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

أحمد جمال
صحافي مصري

القاهرة – منحت رؤية الحكومة المصرية لتوظيف الاستثمار الرياضي فرصة لمن يريدون الدخول في هذا المجال، وتقديم المزيد من التسهيلات للقطاع الخاص المحلي والأجنبي من أجل طرق أبواب الاستثمار في الرياضة، وهو ما ترتب عليه ظهور 40 ناديا خاصا خلال سنوات قليلة بعد أن كانت الهيمنة للأندية ومراكز الشباب الحكومية.

وأسهمت التحولات العديدة بهذا المجال في جذب راعي الدوري الإسباني، شركة "سي إيه سبورتس"؛ وذلك للعمل بشكل رسمي في السوق المصرية الفترة المقبلة والشروع في دخول مجال التسويق بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من البوابة المصرية، واختارت الشركة القاهرة مقرا لها في إطار التوسع في عملياتها التسويقية.

وأعلنت الشركة الراعية لـ"الليغا" الأربعاء أن تواجدها في القاهرة جزء من استراتيجية أكبر تسعى من خلالها إلى تقديم خدمات لزبائنها وتوسيع مجالات الاستثمار الرياضي بالتعاون مع قطاعات البنوك والتأمين والسيارات والأطعمة والمشروبات والأزياء والألعاب والعملات الموازية، خاصة أن الشركة حققت تطورات في كافة هذه القطاعات معتمدة على أحدث الوسائل التكنولوجية والتسويقية.

وجاءت خطوة الشركة الإسبانية بعد إقرار الحكومة المصرية مجموعة من الحوافز للأنشطة الاستثمارية الرياضية مؤخرا، حيث ألزمت كافة الجهات المختصة بتلقي طلبات المستثمرين لإصدار الموافقات أو التصاريح أو التراخيص اللازمة لإنشاء وتشغيل المشروعات الاستثمارية الجديدة والبت فيها خلال 20 يوم عمل من تاريخ تقديم الطلب، وألزمت الجهة المختصة بضرورة إعلام المستثمر مقدم الطلب بنتيجة البت قبولاً أو رفضاً خلال 5 أيام عمل من تاريخ انقضاء المدة المشار إليها.

تذليل العقبات

يحمل القرار تأكيدات على تبسيط إجراءات انطلاق المشروعات الرياضية ووضع إطار زمني محدد لأداء الخدمات للمستثمرين، على أن تشارك في ذلك الهيئة العامة للاستثمار –وهي جهة حكومية تختص بمنح التراخيص– وكافة الوزارات المعنية.

وتشمل قرارات الحكومة جميع الخدمات المقدمة في المجال الرياضي في صورة الإدارة أو التسويق أو التشغيل أو إدارة الألعاب الرياضية أو إنشاء الأندية الخاصة أو الأكاديميات أو الأندية الصحية أو مراكز اللياقة البدنية، ويجب أن تتخذ الشركات التي تنشأ لمزاولة هذه الأنشطة بأنواعها شكل الشركات المساهمة.

ويبرهن اختيار الشركة الإسبانية السوق المصرية على أن هناك بيئة مواتية للاستثمار في المجال الرياضي، وتعد الخطوة دليلا على أن هناك سوقا مفتوحة أمام ضخ الأموال المحلية والأجنبية.

ويتسم حجم المتعاملين مع الأنشطة الرياضية في مصر بالاتساع، ارتكازا على قاعدة جماهيرية كبيرة للعديد من الأنشطة الرياضية، إلى جانب التوسعات العمرانية المختلفة في مناطق مختلفة من البلاد والحاجة إلى وجود كيانات رياضية تخدم تلك المناطق.

ويفسر خبراء اهتمام الشركة الدولية بالسوق المصرية بما لدى "الليغا" من خبرات سابقة في مصر منذ تدشين رابطة الدوري الإسباني قبل خمس سنوات وتوسعها على مستوى الأنشطة الرياضية التي هدفت إلى تسويق "الليغا" والاتجاه نحو تدشين مشروعات استثمارية متباينة، من بينها تطوير كرة القدم النسائية.

اكتشاف الشبان

وأطلقت "الليغا" في العام الماضي أكاديمية لكرة القدم في القاهرة لتدريب واكتشاف اللاعبين الشباب وعرضهم على فرق إسبانية، وتقدم بالتعاون مع جامعة (ESLSCA) الخاصة في مصر دورات تسويق رياضي تهدف إلى إضفاء الطابع الاحترافي على صناعة الرياضة من منظور عالمي.

وقال الناقد الرياضي علاء عزت إن السوق المصرية بحاجة إلى المزيد من الأفكار التي تحقق أفضل النتائج الإيجابية للاستثمار في مجال الرياضة، وإن دور شركة "سي إيه سبورتس" يعتمد على ابتكار أدوات تسويقية مختلفة عن تلك التي تنتهجها الشركات والأندية الخاصة العاملة حاليا، ونجاح خطواتها يتوقف على البيئة التي تدفع نحو جذب استثمارات أجنبية جديدة، ولا يتوقف الأمر عند مسألة تأسيس أكاديميات كرة القدم.

وأضاف في تصريح لـ"العرب" أن "وجود الراعي الرسمي لـ'الليغا' في السوق المصرية كان من المفترض أن يحدث قبل ثلاث سنوات، والعوائد الكبيرة التي حققتها رابطة الدوري الإسباني جعلت شركات كبرى في إسبانيا تفكر في الاستثمار في مصر التي تحتل مرتبة متقدمة أفريقيا وعربيا من حيث حجم القوة البشرية والاستهلاك. غير أن وجود تعقيدات في تفاصيل تدشين المشروعات جعل دول الخليج تحقق نجاحات عدة مكنتها من أن تكون رائدة على مستوى الجذب في السوق الرياضية".

تقدم "سي إيه سبورتس" التي تأسست عام 2017 خدماتها في مجالات جذب الاستثمارات والخبرات الإدارية من أكثر من عشر دول في العالم –مثل اليابان وتركيا والصين والبرازيل والإكوادور– ولديها شراكات مع مؤسسات رياضية عالمية مثل برشلونة وأتلتيكو مدريد ويوفنتوس وإنتر ميلان وريال بيتيس و"البالون دور"(جائزة الكرة الذهبية).

> محمد الطويلة مالك ومؤسس نادي نجوم المستقبل أوضح أن مناخ الاستثمار الرياضي في مصر بحاجة إلى قدر كبير من المرونة

وأشار علاء عزت إلى أن الشركة الإسبانية تستفيد من الزخم الرسمي الداعم للأنشطة الاستثمارية الرياضية في مصر والحضور الفاعل من قبل وزير الرياضة أشرف صبحي لفعاليات تطلقها شركات خاصة للإعلان عن مشروعات، بهدف طمأنة المستثمرين بمدى استقرار السوق ودعم انتعاش الأندية وما حققته من مكاسب مؤخرا.

ومن المقرر أن تعقد وزارة الشباب والرياضة المصرية الملتقى الدولي الأول للاستثمار والصناعة الرياضية خلال الفترة من الخامس والعشرين إلى السابع والعشرين من مارس الجاري بمشاركة عدد من الشركات والمؤسسات المتخصصة في الاقتصاد والاستثمار الرياضي من دول العالم، لعرض تجاربها الناجحة في مجال الاستثمار الرياضي وعرض مصر فرصها أمام المستثمرين العرب والأجانب.

ويهدف الملتقى إلى فتح أسواق جديدة في مجال الاستثمار والصناعة الرياضية ونقل تجارب الدول المتقدمة والأندية الكبرى في تطبيق الذكاء الاصطناعي على قطاع الرياضة والرقمنة، وسيجمع أكبر عدد من المؤسسات والشركات والعاملين في مجال الصناعة الرياضية حول العالم لتجهيز أول جيل متخصص بأسلوب محترف في مجال تسويق المنتجات والمنشآت الرياضية في مصر والعالم العربي.

ويسود ارتياح في أوساط رياضية وقناعة بأن الفترة المقبلة سوف تشهد المزيد من التحولات على مستوى الأطر العامة لإدارة الأندية، وأن الاعتماد على تحقيق أرباح ومكاسب من وراء التوسع في تدشين الألعاب المختلفة داخل النادي الواحد لن يحقق القدرة على الاستمرارية، والتوسع في تدشين الأندية الاجتماعية وإقامة كيانات متخصصة في ألعاب بعينها أمر متوقع منه أن يخدم تطور الرياضة المصرية بوجه عام.

وقد يكون الانفتاح الاستثماري الرياضي مقدمة للتنقيب والكشف عن المزيد من المواهب في ألعاب مختلفة، ويمكن أن تتيح التجارب الجديدة إمكانية تدشين أندية داخل الأقاليم تعمل برؤية مغايرة لتلك التي تسير بها مراكز الشباب الحكومية المنتشرة في ربوع البلاد، والتي تتذمر دائما من نقص الإمكانيات للوصول إلى الكفاءات.

يعول نقاد مصريون على أن تكون الاستثمارات الأجنبية والمحلية مدخلا لتوظيف عائدات عقود الرعاية المختلفة التي تحقق مكاسب عديدة في مجال كرة القدم للاهتمام بالأنشطة الرياضية الأخرى، ويكون ذلك مصحوبا بحوافز جيدة والإسراع إلى إنجاز تعديلات في قانون الرياضة لإزالة المعوقات التي يصطدم بها المستثمرون.

تعديلات قانونية

وبدأ البرلمان المصري يقبل مناقشة تعديلات القانون الذي جرى إقراره قبل خمس سنوات والذي واجه انتقادات على مستوى تدخل الجهات الحكومية في شؤون المستثمرين، حيث يتيح التفتيش عن القوائم المالية في الأعمال والاستثمار غير الرياضي، وأصبح عنصرا يحجم الأندية الرياضية في إنشاء الشركات عبر نصوص تؤكد عدم وجود مجلس إدارة في تلك الشركات.

وأوضح مالك ومؤسس نادي نجوم المستقبل محمد الطويلة أن مناخ الاستثمار الرياضي في مصر بحاجة إلى قدر كبير من المرونة الحكومية في التعامل مع تنوع أنشطة المستثمرين، وتوفير حرية الحركة والرأي والفكر والتعبير لجذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية، لأن الجهود المبذولة على المستوى الاقتصادي قد لا تحقق المرجو منها إذا لم تتوفر الحصانة اللازمة للمستثمر للحصول على كافة حقوقه.

وذكر في تصريح لـ"العرب" أن "وجود الشركة الإسبانية يشكل إضافة مهمة للسوق المصرية، في انتظار التعرف على خطط التسويق التي تتبناها وحجم أنشطتها.

وتكمن الميزة في دعم سمعة السوق وتحقيق طفرات بوجود شركة عالمية لها أنشطة متنوعة".

وشدد على أن مصر تمتلك خبراء في التسويق الرياضي من الشباب القادرين على ابتكار أشكال مختلفة للارتقاء بالقيمة المالية والسوقية للأنشطة، والتعاون بين الشركة الإسبانية والكفاءات في الداخل يمكن أن يقود إلى نجاحات اقتصادية سريعة.

ويمثل الاستثمار الرياضي 2.7 في المئة من إجمالي الاستثمارات في القطاعات المختلفة بمصر، و8 في المئة من الاستثمار في قطاع السياحة الذي ترتبط عوائده بقطاع الرياضة، ويشكل 25 في المئة من حجم الاستثمار الرياضي في العالم العربي، وقد يصل حجم الاستثمار النشط في السوق إلى نحو 2 مليار دولار.

وقال الإسباني سينتو أغرام المؤسس والمدير التنفيذي لـCA، في تصريحات صحافية تعليقا على اقتحام السوق المصرية، "الشرق الأوسط كان دائما هدفا جذابا لشركتنا".

وتابع "ندرك أهمية مخاطبة كل سوق بالطريقة المناسبة وفي التوقيت المناسب، ونعرف كيف نتعامل مع الفرص المتاحة للعمل بالشكل الذي يناسب الثقافة في المنطقة مع تطوير وتوسيع فرص الاستثمار بما يناسب حجمها، ولذلك نعتز بتعاوننا مع السيد أمير جرانة –مدير عمليات الشرق الأوسط – بما لديه من خبرة واسعة وعلاقات محترفة مع شركائه في المنطقة لتأسيس فرع الشركة في القاهرة واقتحام سوق التسويق الرياضي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا".

> قد يكون الانفتاح الاستثماري الرياضي في مصر مقدمة للتنقيب والكشف عن المزيد من المواهب في ألعاب مختلفة

ويرى أغرام أنه بفضل هذا التوسع العالمي تستطيع الشركة تقديم خدماتها لزبائنها عن قرب وبعدة لغات مختلفة، وعلى رأس ذلك جذب استثمارات وخبرات إدارية من أكثر من بلد – مثل اليابان وتركيا والصين والبرازيل– لضمان تحقيق أفضل الخدمات والنتائج.

وتعمل الشركة مع أكبر الأندية العالمية مثل برشلونة وأتلتيكو مدريد ويوفنتوس وإنتر. كما تعمل مع العديد من السفراء الرياضيين مثل تشافي هيرنانديز ورونالدينيو وكارليس بويول وراؤول غونزاليس وكلارنس سيدورف.

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

نقل مباراة العراق والإمارات إلى الرياض يثير جدلا واسعا

الاتحاد العراقي يلوّح بالطعن لتثبيت حقه في اللعب على أرضه

فتح الاتحاد الدولي لكرة القدم فصلا جديدا مع المنتخب العراقي بإعادته إلى دائرة الحظر الدولي بعدما قرر نقل مباراته ضد المنتخب الإماراتي إلى السعودية، فيما رفع الاتحاد العراقي جميع اللاءات في وجه فيفا معلنا نيته الطعن في القرار.

مراوغة لم تكن في الحسبان

بغداد – كشف الاتحاد الآسيوي السبت أن مباراة العراق والإمارات ضمن تصفيات مونديال 2022 لكرة القدم، ستقام الخميس المقبل على أرض محايدة لأسباب أمنية في العاصمة السعودية الرياض، فيما لوح الاتحاد العراقي باللجوء إلى الطعن لدى محكمة التحكيم الرياضية "لتثبيت حقه في اللعب على أرضه".

وقال الاتحاد القاري في بيان إنه تقرّر نقل المباراة "من ملعب المدينة الدولي في بغداد إلى الرياض إلى ملعب الملك فهد الدولي"، مبررا ذلك بـ"الأحداث الأخيرة في العراق والتحولات الأوسع في الأمن العالمي في الأسابيع الأخيرة. تم إجراء إعادة تقييم للوضع الأمني والسلامة في العراق من قبل الاتحاد الآسيوي وفيفا".

وتابع "بناء على التقييم، ولضمان أعلى معايير السلامة والأمن لجميع أصحاب المصلحة المعنيين، تقرّر نقل المباراة إلى مكان محايد".

ويحتل العراق المركز الخامس في ترتيب المجموعة برصيد خمس نقاط، بينما يأتي الأبيض الإماراتي ثالثا بتسع نقاط علما وأن صاحب المركز الثالث يخوض الملحق المؤهل إلى المونديال.

وأفاد الحرس الثوري الإيراني عن استهداف "مركز إسرائيلي" في شمال العراق الأحد الماضي، بعد ساعات من إعلان سلطات إقليم كردستان سقوط صواريخ باليستية أطلقت "من خارج الحدود" في محيط أربيل والقنصلية الأميركية فيها.

عدنان درجال

لم نتوقع هذا القرار الصادم ونحن على بعد أيام من مباراة الإمارات

وكان العراق يستعد إلى هذه المواجهة بعزيمة ومثابرة قوية وفعل كل يتوجب فعله من أجل خوض هذه المباراة على ملعب العاصمة بغداد، خصوصا وأنها ستكون بنكهة عالمية وستجمعه بمنتخب عربي والأهم من ذلك أنها كانت ستنهي مسلسل الحظر الدولي المفروض على منتخب "أسود الرافدين" لفترة طويلة.

لاءات بوجه فيفا

بعد ساعات من إعلان إقامة المباراة في الرياض، أعلن الاتحاد العراقي نيته الطعن لدى محكمة التحكيم لتثبيت حقه باللعب على أرضه "سيبقى (الاتحاد) مدافعا عن حقه باللعب في أرضه بعد قرار رفع الحظر الدولي عن ملاعبنا.. ولن يتنازل عن مُكتسب جاء بعد سنوات طويلة من الحظر الدولي".

واعتبر أن قرار اللعب في أرض محايدة في السعودية "يُعدّ صدمة كبيرة وغير مُنصف وظالما ومُجحفا بحق كرة القدم العراقيّة، ولم يَستند إلى الحقائق الموجودة على أرض الواقع، إذ أن التقارير الأمنيّة كانت ممهورة بالإشادة وحالة الاستقرار التامّ والأمن المُستتب".

وأضاف أنه بعد وصول القرار الأولي بإقامة المباراة في أرض محايدة "أرسل الاتحاد العراقيّ رسالة بمضمون قوي وقانوني ورصين إلى الاتحاد الدولي من أجل العُدول عن قراره، وأنه في حال تثبيت القرار من الفيفا فإن اتحاد الكرة سيتجه على إثره إلى محكمة كاس للدفاع عن حقه برفضه اللعب خارج أرضه لوجودَ مُقومات النجاح والأمن في ملاعبنا، والتجاربُ السابقة تؤكدُ ذلك، وآخرها مُباراة منتخبنا الوطني ونظيره الزامبي التي أقيمت في ملعب المدينة الدولي ببغداد (الجمعة) التي حضرها 25 ألف متفرج، وجرت بانسيابية ودرجة عالية من التنظيم المميز".

سخط رسمي

وأثار نقل المباراة من العراق إلى أرض محايدة سخط المسؤولين العراقيين بعد قرار فيفا الشهر الماضي رفع الحظر عن العراق لأسباب أمنية أيضا.

وقال رئيس الاتحاد العراقي عدنان درجال الخميس بعد إعلان اتحاده نقل المباراة "لم نتوقع هذا القرار الصادم ونحن على بعد أيام من موعد مباراة الإمارات، وإذا ما سارت الأمور بهذا الشكل وأرغمنا على اللعب خارج أرضنا من حقنا أن نحدّد الملعب، وفي الوقت نفسه سنحتفظ بحقنا الكامل بكل الأمور ولن ندع أن يسلب حق العراق مرة ثانية".

وخاض المنتخب العراقي مباراة ودية على أرضه الجمعة ضد زامبيا فاز فيها 3-1 على ملعب المدينة في بغداد أمام أكثر من 25 ألف متفرج حمل بعضهم لافتات احتجاج على نقل مباراة الإمارات خارج البلاد وكتب على بعضها "نحن نتنفس كرة القدم لا تسرقوا فرحتنا".

وعوّل المنتخب العراقي كثيرا على إقامة المباراة على أرضه وبين جمهوره، على أمل الظفر بفوز يبقيه في سباق الملحق الآسيوي المؤدي إلى مونديال 2022، قبل أن يلتقي نظيره السوري بعد مواجهة الإمارات بأربعة أيام في دبي.

ويحتل منتخب العراق المركز الخامس قبل الأخير في المجموعة الأولى بخمس نقاط من ثماني مباريات، فيما يشغل نظيره الإماراتي المركز الثالث بتسع نقاط، علما وأن ثالثي المجموعتين في الدور الثالث يلتقيان في ملحق آسيوي والفائز بينهما يلاقي خامس أميركا الجنوبية في ملحق عالمي.

برشلونة يسعى إلى التعاقد مع ماركوس راشفورد

لندن – نقلت تقارير صحافية بريطانية عن مصادر مقرّبة من مهاجم مانشستر يونايتد ماركوس راشفورد الذي يعاني من تراجع مستواه خلال الموسم الحالي، بأن برشلونة الإسباني أعرب عن رغبته في الحصول على خدماته وسط ضبابية مستقبله في صفوف فريقه.

وقالت المصادر إن راشفورد الذي ينتهي عقده مع مانشستر يونايتد في يونيو 2023 مع إمكانية تفعيل النادي الإنجليزي لهذا العقد لموسم إضافي، لموقع "مانشستر ايفنينغ ستاندارد" إن "هاتف اللاعب لا يتوقف عن الرنين" منذ أن قرر التفكير بمستقبله بعيدا عن ملعب أولد ترافورد، لاسيما بعد جلوسه على مقاعد الاحتياطيين في مباراة الديربي ضد مانشستر سيتي والتي خسرها فريقه 1-4 خلال الشهر الحالي.

ولم يتردّد برشلونة في جس نبض معسكر راشفورد معلنا رغبته في الحصول على خدمات ابن الرابعة والعشرين.

ويحتاج برشلونة إلى مهاجم على المدى البعيد، لأن جناحه الفرنسي عثمان ديمبيلي ينتهي عقده معه في يونيو المقبل ولم يتوصل الطرفان إلى اتفاق على تجديده بحسب شروط اللاعب وسط الأزمة المالية التي يتخبط فيها النادي الكتالوني.

كما أن الهولندي لوك دي يونغ وأداما تراوريه معاران حتى نهاية الموسم، في حين يبلغ الغابوني بيار إيميريك أوباميانغ الثالثة والثلاثين من العمر، وبالتالي فإن المهاجم فيران تورس هو الوحيد الشاب في خط المقدمة بعد انتقاله من مانشستر سيتي في فترة الانتقالات الشتوية الأخيرة.

وكان برشلونة اتصل بمعسكر راشفورد قبل قيام مانشستر يونايتد بتجديد عقده لأربع سنوات عام 2019.

> برشلونة لم يتردّد في جس نبض معسكر ماركوس راشفورد معلنا رغبته في الحصول على خدمات ابن الرابعة والعشرين

وارتبط اسم راشفورد أيضا بباريس سان جرمان الساعي إلى إيجاد بديل محتمل في حال رحيل مهاجمه المتألق كيليان مبابي إلى صفوف ريال مدريد في نهاية عقده في يونيو المقبل.

وفي تعليق سابق قال غاريث ساوثغيت المدير الفني للمنتخب الإنجليزي إن راشفورد ليس في أفضل حالاته وذلك عقب استبعاده من قائمة الأسود الثلاثة.

وسجل راشفورد 6 أهداف فقط في 19 مباراة خاضها مع فريقه في الدوري الإنجليزي في موسم محبط للشياطين الحمر. ولن يشارك راشفورد في مباراتي منتخب بلاده الوديتين أمام سويسرا وكوت ديفوار.

وشارك راشفورد في 46 مباراة دولية، وسجل 12 هدفا دوليا، فيما جاء هدفه الأخير مع المنتخب في شباك رومانيا خلال مباراة ودية في يونيو الماضي.

ساكاري تتحدى شفيونتيك في نهائي إنديان ويلز

إنديان ويلز (الولايات المتحدة) – سيجمع نهائي دورة إنديان ويلز الأميركية في كرة المضرب البولندية إيغا شفيونتيك أو ساكّاري تتوقعه، فقالت الثانية الجمعة "قبل ثمانية أشهر، بدا لي هذا المركز مستحيلا"، فيما أضافت البولندية "بصراحة، هذا أبعد بكثير من توقعاتي".

ونجحت شفيونتيك، المتألقة راهنا، بتخطي الأولى عالميا سابقا والـ26 راهنا الرومانية سيمونا هاليب، لتبلغ أول نهائي لها في إحدى دورات الألف لرابطة المحترفات المقامة في صحراء كاليفورنيا.

وهذا ثاني نهائي دورة من هذا الحجم للبولندية، بعد إحرازها دورة الدوحة في يناير الماضي.

وقالت بطلة رولان غاروس 2020 "قاتلت حتى النهاية. سيمونا قوية ذهنيا ولا تستسلم، لذا أردت أن ألعب أفضل منها".

وشرحت البولندية البالغة 20 عاما التي حققت فوزها العاشر على التوالي "خلال مبارياتي السابقة مع سيمونا، لم أكن ألعب تحت الضغوط. لكن هذه المرة كنت أنا الأعلى تصنيفا، ومن خلال أدائي الجيد تأقلمت ذهنيا".

وتابعت اللاعبة التي عادلت رصيدها مع هاليب 2-2 في المواجهات المباشرة "كانت مباراة قوية، ومتطلبة بدنيا".

وعلى الجهة الأخرى تفوّقت ساكّاري على الإسبانية باولا بادوسا السابعة وحاملة اللقب بعد تبدل في الأدوار شهد 11 كسرا للإرسال بينها سبعة لليونانية.

وقالت ساكاري البالغة 26 عاما والباحثة عن لقب ثان بعد تتويجها في الرباط عام 2019 على أرض ترابية "عملت طيلة حياتي للوصول إلى هنا، للتأهل بعيدا في الدورات. لم أحرز اللقب بعد، لكني في النهائي وهذا يعني لي الكثير".

وبرغم بداية بطيئة، أحرزت أربعة أشواط متتالية مستفيدة من ضعف إرسال الإسبانية. ونهضت بادوسا في الثانية، بفضل ضرباتها القوية، دون أن تستمر في إيقاعها بالثالثة حيث بدت ساكاري أكثر شراسة، لتمنع بادوسا من أن تصبح أول لاعبة منذ الأميركية مارتينا نافراتيلوفا تحرز اللقب مرتين تواليا (1990-1991).

وساكاري التي بلغت نهائي رولان غاروس وفلاشينغ ميدوز العام الماضي، تملك أفضلية في المواجهات المباشرة أمام شفيونتيك (3-1)، لكن البولندية حسمت الأخيرة في نصف نهائي الدوحة هذه السنة.

ولدى الرجال في إحدى دورات الماسترز 1000 نقطة، بلغ الروسي أندري روبليف المصنف سابعا عالميا الدور نصف النهائي بفوزه على البلغاري غريغور ديميتروف.

ويبدو الطريق معبدا أمام الروسي، الفائز هذا الموسم بلقبي دورتي مرسيليا ودبي، لبلوغ النهائي الثالث له في دورات الألف نقطة للماسترز والأول في إنديان ويلز التي لم يذهب فيها سابقا أبعد من الدور الثالث، إذ يلتقي في نصف النهائي الأميركي تايلر فريتز الفائز على الصربي ميومير كيتسمانوفيتش.

مواجهات مصيرية للأندية العربية في الكونفيدرالية

القاهرة – تنطلق الأحد منافسات الجولة الخامسة قبل الأخيرة لمرحلة المجموعات ببطولة كأس الاتحاد الأفريقي (الكونفيدرالية الأفريقية) بمواجهات صعبة للأندية العربية وستكون حاسمة إلى حد بعيد لملامح الفرق المتأهلة إلى ربع النهائي.

ولم يضمن أي فريق التأهل إلى ربع النهائي سوى بيراميدز المصري عن المجموعة الأولى وهو ما يجعل صراع البطاقات السبع للتأهل إلى ربع النهائي مشتعلا.

يستضيف أهلي طرابلس الليبي على ملعبه شهداء بنينا بمدينة بنغازي منافسه بيراميدز المصري بينما يخرج الصفاقسي التونسي لمواجهة زاناكو الزامبي. ويتصدر بيراميدز برصيد عشر نقاط وخلفه أهلي طرابلس برصيد تسع نقاط في المركز الثاني، ثم الصفاقسي الذي يحتل المركز الثالث برصيد 4 نقاط وأخيرا زاناكو بلا نقاط.

ويبدو أهلي طرابلس على بعد خطوة واحدة لحسم تأهله بتحقيق الفوز على بيراميدز الذي يرفع رصيده إلى 12 نقطة، ويتأهل بغض النظر عن نتيجة مواجهة الصفاقسي وزاناكو.

ويحتاج الصفاقسي على الجانب الآخر للفوز على زاناكو بجانب خسارة أو تعادل أهلي طرابلس أمام بيراميدز ليبقى الصراع معلقا للجولة الأخيرة التي تشهد مواجهة بين الصفاقسي وأهلي طرابلس، علما وأن لقاء الفريقين في ليبيا انتهى بفوز أهلي طرابلس بنتيجة 2-1. وفي مواجهة حاسمة أخرى يخوض شبيبة الساورة الجزائري مواجهة قوية وصعبة على ملعبه أمام أورلاندو بيراتيس الجنوب أفريقي، بينما يستضيف الاتحاد الليبي منافسه رويال ليبوباردديس بطل إي سواتيني.

ويتصدر أورلاندو ترتيب المجموعة برصيد تسع نقاط، ثم شبيبة الساورة والاتحاد برصيد سبع نقاط، ويبقى رويال ليبوباردديس في المركز الأخير بلا نقاط.

يتطلع شبيبة الساورة إلى الثأر من قراصنة أورلاندو بعد الخسارة بجنوب أفريقيا بنتيجة 2-0 وهو فوز سيكون مهما خاصة لكسر أفضلية المواجهات المباشرة.

ويسعى الاتحاد إلى استعادة الانتصارات والفوز على بطل إي سواتيني للوصول إلى عشر نقاط، والمنافسة بقوة على التأهل إلى ربع النهائي.

ويسعى المصري البورسعيدي لتحقيق الفوز على القطن الكاميروني بملعب برج العرب بالإسكندرية، بينما يلعب أوتوهو ممثل الكونغو برازافيل، مع مازيمبي الكونغولي بالمجموعة الثالثة.

ويتصدر المصري ترتيب المجموعة الثالثة برصيد سبع نقاط وخلفه مازيمبي بنفس الرصيد ثم أوتوهو برصيد أربع نقاط وأخيرا القطن برصيد ثلاث نقاط.

ويحتاج المصري بقيادة مدربه التونسي معين الشعباني إلى الفوز للاقتراب بقوة من حسم التأهل عن هذه المجموعة المتشابكة قبل الخروج لملاقاة مازيمبي بالجولة الأخيرة، ولكن القطن سيكون أيضا في مهمة البحث عن الفوز للتمسك بآخر آمال المنافسة.

> أهلي طرابلس الليبي يستضيف منافسه بيراميدز المصري بينما يخرج الصفاقسي التونسي لمواجهة زاناكو الزامبي

وسيكون لقاء مازيمبي وأوتوهو نقطة مهمة في حسم ملامح التأهل عن هذه المجموعة خاصة أن فوز المصري ومازيمبي ينهي صراع الصعود رسميا بينما يبقى فوز أوتوهو بمثابة نقطة تشعل هذه المنافسة في المجموعة.

ويخرج نهضة بركان المغربي لمواجهة محفوفة بالمخاطر أمام الحرس الوطني بطل النيجر، بينما يستضيف أسيك الإيفواري منافسه سيمبا التنزاني.

ويحتل سيمبا صدارة المجموعة برصيد سبع نقاط وخلفه أسيك ونهضة بركان برصيد ست نقاط وأخيرا الحرس الوطني برصيد أربع نقاط.

ويحتاج نهضة بركان إلى تحقيق الفوز على بطل النيجر من أجل تأمين آماله في التأهل عن هذه المجموعة، بينما يبقى الصراع بين سيمبا وأسيك خارج التوقعات.

مواجهة صعبة خارج الديار للبركانيين

العرب
الأحد 2022/03/20
السنة 44 العدد 12362

ماذا لو جفّت شجرة المتة المشروب المفضل للاتينيين

ينتشر مشروب المتة في دول أميركا اللاتينية وإسبانيا ولبنان، ويتم تناوله في كل الأوقات والأماكن، لكن الجفاف الذي حل بالأرجنتين يهدد هذه الشجرة، فقد تجف وريقاتها وتحرم عشاق هذا المشروب من متعته.

تقليدي ومنعش

كولونيا ليبيغ (الأرجنتين) – تمثل المتة مشروبا وطنيا في بلدان عدة في أميركا الجنوبية وانتشرت أيضا في بلدان عربية مثل سوريا ولبنان، لكنّ النبتة تواجه في الأرجنتين خطرا كبيرا جراء الجفاف الذي يدمّر المزروعات في شمال البلاد، رغم تسجيل معدلات قياسية في الإنتاج والاستهلاك.

وفي هذه الفترة من السنة من المفترض أن تكون حقول الشجيرات الضخمة خضراء، لكنّها تظهر بنّية على مد البصر في ظل عدد محدود لا يزال أخضر. وتتكسّر الجذوع اليابسة بسهولة بين الأصابع.

ويقول المهندس الزراعي ألبرتو مولر أثناء المشي بين الشجيرات المزروعة في كولونيا ليبيغ على بعد 940 كيلومترا عن بوينس آيرس، إنّ الشجيرات "احترقت كما لو أنّها وُضعت في الفرن".

المتة انتقلت إلى لبنان وسوريا عن طريق المهاجرين الذين غادروا منذ القرن التاسع عشر إلى أميركا الجنوبية

وعادة ما تكون المنطقة ذات التربة الغنية بالحديد والمناخ شبه الاستوائي والتي لا تشهد مواسم جفاف مثالية في هذه الفترة من السنة لزرع نبتة البهشية البراغوانية المستخدمة في إنتاج مشروب المتة التقليدي المنعش الذي يحوي مواد مضادة للأكسدة، ويعود أصله إلى شعوب غوارانى.

ولم تشهد مقاطعة كورينتس أمطارا منذ ثلاثة أشهر، في أسوأ موجة جفاف تتعرض لها المنطقة منذ أكثر من سبعين عاماً، وهو ما "فاقمته الحرارة التي وصلت إلى 45 درجة مئوية مسجلة بالتالي 4 أو 5 درجات فوق المعدلات الطبيعية"، بحسب مولر.

ويقول نائب رئيس تعاونية ليبيغ الزراعية أورلاندو ستفاس إنّ "النباتات ذبلت بالكامل، ومات ستون في المئة منها، ما يمثل خسائر بملايين من الدولارات"، مضيفا أنّ "الوضع يزداد سوءا (...) ويمثل كارثة كبيرة".

وتشكّل ندرة النباتات كارثة اجتماعية على مستوى كولونيا ليبيغ (تضم نحو أربعة آلاف نسمة) التي تتباهى في العادة بمعدلات البطالة المعدومة، إذ يعمل ألف شخص في إنتاج المتة، من دون احتساب وظائف غير مباشرة يوفّرها القطاع.

وتكمن المفارقة في أنّ النبتة المستخدمة في تصنيع المتة والتي تمثل الأرجنتين ثاني أكبر منتج لها في العالم بعد البرازيل والمصدّر الرئيسي لها خصوصاً إلى تشيلي والصين وسوريا ولبنان وإسبانيا، تخرج من سنة حقق فيها الإنتاج أرقاما قياسية.

وفي الوطن العربي يستهلك العديد من سكان جبل لبنان مشروب المتة، كما يشربه سكان المناطق الساحلية والسويداء وقرى ريف حماة والقلمون بشكل كبير، وتُعتبر سوريا المستورد الأول لهذا المشروب حول العالم، حيث تستورد سنويا حوالي 15 ألف طن من المتة.

ويأمل ستفاس أن "تخفف" المكاسب المحققة عام 2021 "التدهور" المؤكد تسجيله في القطاع. وتشير التقديرات الأولية إلى أنّ الخسائر ستمثّل نحو أربعة مليارات بيزو (36 مليون دولار)، فضلاً عن صعوبات ستواجهها زراعة النبتة من جديد لأنّ الجفاف يحدث أضرارا بمخزون البذور كذلك. ولكي تثمر الشجيرة بشكل كامل يحتاج الأمر إلى حوالي ست إلى ثماني سنوات.

ورغم ذلك، لن يتأثر المستهلكون بكميات المحاصيل المنخفضة المسجلة حاليا قبل عام 2023، إذ يستغرق إنتاج المتة عشرة أشهر يتخللها حصاد وتجفيف وتحميص وتعبئة.

لكنّ بعض الأشخاص يفكرون مسبقا في تأثير انخفاض المحاصيل على الأسعار، إذ يمثّل ارتفاع سعر المتة إضافة إلى التضخم المتسارع مشكلة كبيرة جداً.

ويقول أوغستان ليتوين، وهو طالب يعيش في بوينس آيرس "إذا لزم الأمر سأخزن عشرة كيلوغرامات!"، معبّرا عن قلقه من نقص قد يطال النبتة التي تمثّل "مشروبا يوميا" له يحتسيه "خلال الفطور وعند تناول الوجبات الخفيفة وبعد العشاء أثناء مشاهدة أحد المسلسلات". ويقول "إنّ تمضية يوم من دون شرب المتة أمر مستحيل!".

وتبرز أهمية المتة في بلدان أميركا الجنوبية من خلال معرفة أسطورتها، فبحسب أساطير شعب الغواراني القديمة قامت في إحدى المرات إلهتا القمر والغيوم بزيارة الأرض، لكن حيوان فهد قام بمهاجمتهما وكاد يتسبب بموتهما لولا أنّ رجلا عجوزا قام بإنقاذهما، وتعبيرا عن امتنانهما قدمت الإلهتان نبتة المتة لهذا الرجل ودعتاها بمشروب الصداقة. وبالطبع، تبقى هذه القصة مجرد أسطورة محلية، إلا أنّ هذا المشروب ما زال يعبر عن الصداقة في العديد من بلدان أميركا الجنوبية حيث يجتمع الأصدقاء لشربه وقضاء الوقت سوية.

«كولدبلاي» تبدأ جولة موسيقية صديقة للبيئة

لندن – بدأت فرقة "كولدبلاي" البريطانية مساء الجمعة جولتها العالمية الأولى منذ عام 2017 بعنوان "ميوزيك أوف ذي سفيرز" أمام حشد ضمّ أربعين ألف شخص في الملعب الوطني في سان خوسيه عاصمة كوستاريكا.

وأشار الموقع الإلكتروني التابع للفرقة إلى أنّ الجولة "صديقة للبيئة" و"مستدامة"، إذ تولّد أرضية الملعب الطاقة عندما يقفز المتفرجون فيما تولّد دراجات هوائية الكهرباء اللازمة للحفل، في ظل وعود قدّمتها الفرقة بالتبرّع بشجرة واحدة مقابل كل تذكرة مباعة.

وأوضحت "كولدبلاي" على مواقع التواصل الاجتماعي أنها اختارت كوستاريكا كأوّل محطة في جولتها الجديدة كون البلد معروف بصورته "الخضراء" الصديقة للبيئة ويتمتع بنموذج فريد لتوليد الكهرباء المتجددة بنسبة 99.98 في المئة، بحسب معهد السياحة في كوستاريكا.

وبعد كوستاريكا تستكمل الفرقة جولتها التي تضم في المجموع 57 حفلاً، في جمهورية الدومينيكان والمكسيك ودول أخرى.

وانطلق الحفل بأغنية "هاير باور" واستمر لساعتين قدّمت الفرقة خلالهما أبرز أغنياتها كـ"بيلو" و"ذي ساينتست" و"فيكس يو" وأغنيات كوستاريكية تقليدية كذلك.

وقبل تأدية أغنية "إيه سكاي فول أوف ستارز"، طلب المغني وقائد الفرقة كريس مارتن من الجمهور الحاضر أن يغلقوا هواتفهم المحمولة ويضعوها جانباً ليتمكّنوا من "الاستمتاع بلحظات فنية فريدة".

وقالت كارولينا خيمينيث (38 عاماً) التي كانت حاضرة بين الجمهور "لا توجد كلمات كافية للتعبير عن شعوري. الأضواء، الأغاني، الأجواء الإيجابية التي يحدثونها. إنّ هذا الحفل الموسيقي كان مذهلاً منذ انطلاقه وحتى نهايته".

وألغت الفرقة جولاتها عام 2017 حتى إيجاد طريقة لتقليل انبعاثات الكربون الناجمة عن حفلاتها.

وقال كريس مارتن في مقابلة مع تلفزيون الـ "بي.بي.سي" العام الماضي "اجتزنا نصف الطريق نحو هدفنا الذي نرغب في تحقيقه" في هذا المجال.

روجينا طبيبة نفسية في رمضان

القاهرة – تشارك الممثلة المصرية روجينا خلال رمضان 2022 بمسلسل "انحراف"، حيث تقوم بالبطولة وتجسد دور طبيبة نفسية في إطار دراما تشويقية.

المسلسل من تأليف مصطفى شهيب وإخراج رؤوف عبدالعزيز الذي فرض سرية شديدة على التفاصيل المأخوذة عن أحداث حقيقية تدور في دراما تشويقية مليئة بالغموض حول انحراف عدد من الأشخاص عن الطبيعة البشرية ويصطدمون بطبيبة نفسية، التي تقدمها النجمة روجينا، تقرر تعديل مسارهم بطريقتها الخاصة.

وانتشرت بوسترات مسلسل "انحراف" للنجمة روجينا في عدد من شوارع القاهرة قبيل عرض المسلسل في الموسم الدرامي الرمضاني المقبل، وتصدرت روجينا الأفيش ومعها باقي الأبطال وهم سميحة أيوب، محمد لطفي، لوسي وعبدالعزيز مخيون.

وتتشابه شخصية روجينا بشكل عام مع شخصية الفنانة نور اللبنانية في مسلسلها المقبل "راجعين ياهوى"، والمقرر عرضه أيضاً خلال موسم رمضان المقبل، إذ تجسد نور شخصية طبيبة نفسية، لكن مع اختلاف التفاصيل بينها وبين ما ستقدمه الفنانة المصرية.

ومن ناحية اخري تخوض الفنانة روجينا الماراثون الرمضاني القادم بعمل درامي آخر يعرض على عدد من المحطات الخليجية يحمل اسم "كيد الحريم"، ويقوم بإخراجه المصري مصطفي فكري.

يذكر أن روجينا شاركت في الموسم الرمضاني الماضي من خلال مسلسل "بنت السلطان" مع نخبة من النجوم من بينهم باسم سمرة وأحمد مجدي.

مشاتل الورود في غزة.. لوحات فنية محاصرة

غزة (فلسطين) – تتربع الزهور في مشتل "أبوسويرح" وسط قطاع غزة داخل قوارير بلاستيكية كلوحة فنية رُسمت بعناية فائقة معلنة بداية الربيع.

وحظيت هذه الزهور قبل أن تكشف عن جمال ألوان بتلاتها، بالكثير من العناية على مدار ما يزيد عن 6 أشهر.

وعلى بعد خطوات من هذا المشهد، يمتد حقل للورود يعود إلى الفلسطيني عزالدين أبوسويرح.

بعض هذه الأزهار تم استيراد بذورها وشتلاتها من هولندا متخطية الحصار الإسرائيلي المُمتد لما يزيد عن 15 عاما، والقيود المفروضة على حركة الأفراد ونقل البضائع، وفق قول أبوسويرح.

وتم إنتاج بعض الزهور محليا بأيادٍ وعقول فلسطينية، بعد البحث والدراسة عن طُرق تهجين الزهور ورعايتها.

وخلال الأسبوعين القادمين يتوقع خيري الخطيب أحد الشركاء في المشتل أن تتفتح غالبية البراعم، لتكتمل لوحة الربيع الزاهية، حيث يستمر موسم الزهور حتّى يونيو القادم.

ويقول الخطيب، وهو يشير إلى أبرز أنواع الزهور في المشتل كالبتونيا والفكتوريا والقرنفل، إن هذه الزهور موسمية تستخدم للزينة في المنازل والحدائق والأماكن العامة.

وكان الإقبال على شراء الزهور كبيرا في ظل ظروف اقتصادية جيدة، مقارنة بما هي عليه الآن، لكن بعد الحصار الذي فرضته على القطاع عام 2007، أغلقت إسرائيل غالبية المعابر، وفرضت قيودا مشددة على حركة البضائع.

صباح العرب

عدلي صادق

الثقافة وبيئاتها

يصعب طرح أي شرح محدد وموجز لمصطلح الثقافة الذي نستخدمه بمناسبة وبغير مناسبة، عند المديح أو في المجاملات أو بتأثير سماع قول أو رأي صاغه أحدهم بعناية. فمن حيث المبدأ، يمكن التقصي عن معاني الثقافة داخل المعتقدات والتقاليد التي نتقاسمها مع القريبين منا الذين نشعر أننا مرتبطون بهم من خلال أواصر قوية، ونعتبرهم نظراءنا. وهذا الفضاء هو الذي يمدنا بالمنظار الأول الذي نرى من خلاله العالم، ونصوغ العموميات اليقينية التي نواجه بها كل أولئك الذين يدافعون عن وجهات نظر مختلفة!

مصفاة المعتقدات والتقاليد والقيم المشتركة تشكل محصلة هذا الاختراع البشري المدهش الذي نسميه ثقافة، وتتميز به كل أمة عن سواها في حالي الانغلاق والانفتاح. ولعل أولى وسائل اختبار جودة أي ثقافة عند أي مجتمع هي فحص قدرته على التسامح، وهنا تكون الجودة في حاجة إلى براهين!

إن هذا هو الأمر الذي يستحق أو يؤخذ بعين الاعتبار لمعرفة مدى صلاحية أي ثقافة للاحتكاك بغيرها من الثقافات والأمم الأخرى. ومعلوم أن المقاصد المعلنة، عن السياقات التربوية والتعليمية، تتحدث دائماً عن ترياق مطلوب وفعال ضد حُمى الخوف من الآخر، وخطأ تنميطه سلباً على أساس الدين أو اللون أو العرق. فكل مجتمع هو مخزن للفضائل، أيا كانت سمات تيارات اجتماعية متخلفة داخل هذا المجتمع نفسه. بالتالي فإن أسوأ المتعصبين وغير المتسامحين هم الجهلة.

لدينا ثلاثة معانٍ متصلة يتميز بعضها عن بعض. فالثقافة في المقام الأول هي المسار التربوي في اتجاه النُضج الفردي، وهذا – بالمناسبة – يتلاقى مع جذر اشتقاق أصل الكلمة وهو "الزرع" في اللغة الإغريقية، كما فسر شيشرون خطيب روما القديمة وكاتبها السياسي. وهذا الزرع يختلف من بيئة إلى أخرى.

ثانياً، يُعرف مدى جودة الثقافة من خلال الأعمال والنظريات العلمية والمنجزات الفكرية التي أثمرها العقل البشري في كل مجتمع. ولدينا من منجزات الأعمال في مصر القديمة الأهرامات والتماثيل والجثامين المحنطة وغيرها، التي حاول أن يقابلها ضخامة في العصر الحديث مركز روكفلر من 19 بناية شاهقة في حي مانهاتن في قلب نيويورك. وفي التاريخ القديم لشعوب بلادنا العربية هناك الكثير من فضائل النظريات والاختراعات التي دلت على تكامل العقل الإنساني في كل مكان ومن أي ثقافة. ولدينا النظرية الهندسية التي خرج بها عقل اليوناني فيثاغورث، الفيلسوف القديم الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. فليس أمراً بسيطاً أن يتمكن العقل في حقبة الطفولة البشرية من تكريس قواعد هندسية لا تخطئها الممارسة الرياضية، كالقول: في المثلث قائم الزاوية، يكون مربع الوتر يساوي مجموع مربع الضلعين الآخرين. كذلك لدينا نظرية النسبية في الفيزياء التي طورها في العام 1905 ألبرت آنشتاين عن مبدأ "النسبية" الذي أرساه العالم الفلكي الإيطالي غاليلو في القرن السابع عشر الميلادي. كذلك في الشعر كانت "الكوميديا الإلهية" التي أطلقها من فلورنسا الشاعر الإيطالي دانتي أليغيري. إن كل تلك الإنجازات وغيرها كثير، توالت على امتداد قرون وانبثقت عن مجموعات بشرية، ونشأت فيها أدوار ألمعيين نذروا أنفسهم لتحسين جودة حياة البشر أجمعين، وكان للمجتمع العربي ومن دخل أجواءه السلطوية، ابن خلدون في علم الاجتماع (القرن الرابع عشر) وفي الشعر المتنبي (القرن العاشر) فضلاً عن غير أسماء وغير مجالات.

السؤال الآن، ماذا في وسع الثقافة في العالم العربي أن تنتج وتسهم في الحضارة البشرية، بينما التعليم نفسه يتردى في معظم البلدان؟